وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور – الجلفة-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم **التاريخ والآثار**

مذكرة بعنوان

العناصر المعمارية في المنشأت الدينية خلال العهد العثماني

مسجد احمد الباشا أنموذجا

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر الأثار

تخصص: أثار إسلامية

إعداد الطالب:
-بن علية محمد

إشراف الدكتورة:
مختيش نعيمة

لجنة المناقشة

أ/د. ذيب بديرينة رئيسا

أ/د. مختيش نعيمة مشرفا

أ/د. مناقشا

السنة الجامعية: 2022/2021

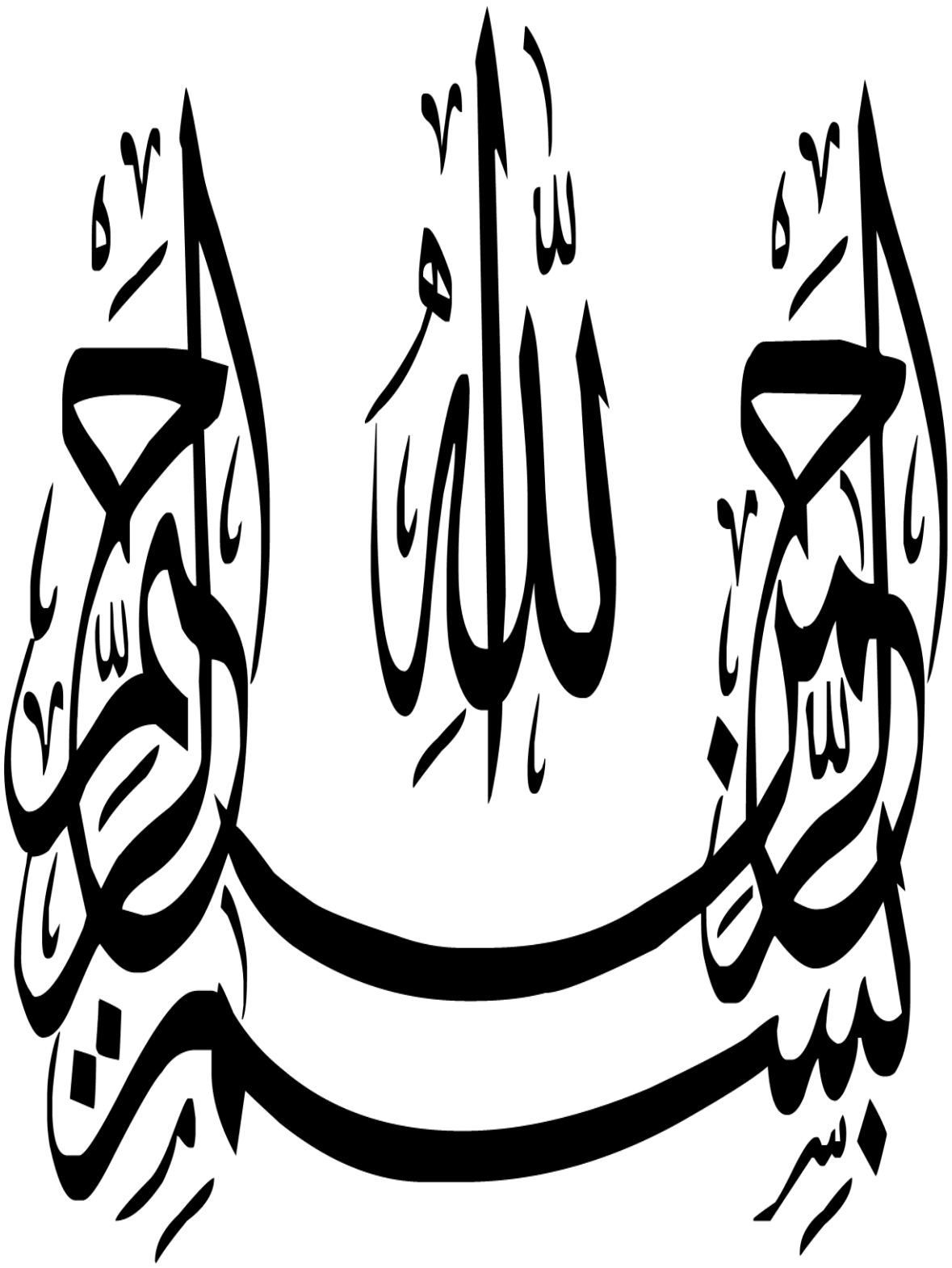
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله والشكر لله سبحانه وتعالى منحني القدرة في
بدء هذا العمل والقدرة على إنهائه. ان كان ثمة شكر
وعرفان بعد شكر المولى عز وجل فهو للذي أضاء لي
طريقي، فأنارت خبرته كل جوانب عملي، والذي بفضل
خبرته أولا وجهده ثانيا وارشادته ثالثا لما استطعت أن
اذهب على أكمل وجه فجزاها الله عنا خيرا

أستاذنا الفاضلة الدكتورة مختيش نعيمة

الإهداء

باسم الخالق الذي أضاء الكون بنوره الإلهي وحده أعبده وحده، له المجد خاشعا شاكرا لنعمه وفضله على في تمام هذا الجهد

إلى صاحب الفردوس الأعلى وسراج الأمة المنير وشفيعها النذير البشير محمد صلى الله عليه وسلم فخرا واعتزازا.

إلى من سهر الليالي ونسي القوافي وظل سندي الموال وحمل همي غير مبالي والدي العزيز رحمه الله

إلى من أثقلت الجفون سهرا وحملت الفؤاد هما وجاهدت الأيام صبرا وشغلت البال فكرا ورفعت الأيادي دعاء وأيقنت بالله أملا أغلى الغوالي وأحب الأحباب أمي الغالية .

الى من عليهم اعتمدت واكتسبت بوجودهم قوة

اخوتي واخواتي:

إلى كل العائلة وأصدقائي

إلى كل من في قلبي ونسي قلبي أن يكتبه

مقدمة

مقدمة:

تعتبر المساجد من أهم المؤسسات الدينية في الجزائر منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وانتشار الإسلام بها، فكانت مكان للعبادة والتعليم، ولقد تزايد عددها بمرور السنوات، وتوسع نشاطها خاصة في العهد العثماني، فقد عرفت مدينة الجزائر في هذه الفترة بالعدد الكبير لمساجدها التي كانت مراكز للإشعاع العلمي، ونشر الثقافة العربية الإسلامية.

ظهر المسجد بظهور الإسلام، لذا احتل مكانة رفيعة لا تدانيه أية مؤسسة أخرى وأول عمل قام به الرسول عليه الصلاة والسلام بعد هجرته من مكة إلى المدينة المنورة هو بنائه للمسجد النبوي الشريف وقد قلده في ذلك وحذو حذوه الخلفاء الراشدين ثم المسلمين كافة، فانتشرت المساجد في كل بقعة ينتشر فيها الإسلام، لأنه رمز للإسلام والمسلمين.

وقد أصبح مكان للعبادة وصلاة الجماعة والجمعة. ومكان للتربية والتعليم والتوجيه الديني والأخلاقي والاجتماعي، ومكان لتشاور المسلمين فيما بينهم.

والجزائر عرفت هذه المؤسسة الدينية والثقافية بعد الفتوحات الإسلامية في النصف الثاني من القرن 1هـ الموافق لب 7م. ولقد عرفت المساجد خلال القرنين 7هـ و9هـ الموافق ل 13-15م نمو للحركة المعمارية بشكل كبير، وتجلى في أروع وأبدع ما أنتجه الفن المعماري، خاصة في المدن الكبرى التي احتوت على المساجد التي كانت مراكز إشعاع ثقافي وعلمي.

وهذه الأخيرة عرفت تطور كبيرا عبر العصور التاريخية، خاصة خلال العهد العثماني فقد اشتهرت مدينة الجزائر بالعدد الكبير لمساجدها التي كانت بمثابة ملتقى للعلوم والمعارف ومساجد لإلقاء صلاة الجماعة، إضافة إلى الدور القضائي فكانت تعقد

فيها مجلس تفصل في المنازعات. ومجالس للإفتاء في الأمور الفقهية للمذهبين المالكي والحنفي

و كانت عاصمة بايلك الغرب الجزائري مدينة وهران أيضا من المدن التي تميزت بعمارة المساجد والتي نحن بصدد دراسة أهم معالمها المعمارية الدينية و هو مسجد الباشا الذي كان من أهم مساجد المدينة لما تميز به من خصائص معمارية و فنية .

تكمن أهمية هذا البحث في اهمية موضوعه و الذي يتعلق بأهم العمائر الدينية عند المسلمين و هي بيوت الله المساجد لكونها أماكن خاصة بالعبادات و مراكزا لنشر الدين و القيم الاخلاقية و تقويم المجتمع من جهة أولى و لكونها من أهم العمائر التي تفنن المسلمون عبر كل العصور التاريخية في بنائها و زخرفتها من جهة ثانية.

-لقد قمنا باختيار هذا الموضوع لتسليط الضوء على أهم فترة من الفترات التاريخية في الجزائر و هي الفترة العثمانية و التي تميزت بتنوع عمائرها و لا سيما الدينية منها أردنا من خلالها التعريف بأهم مساجد عاصمة بايلك الغرب الجزائري مدينة وهران العريقة و هو مسجد الباشا.

- ان الهدف من هذا البحث هو التعريف بالتراث المعماري و الاثري لمدينة و هران من خلال دراسة العناصر المعمارية و الفنية لهذا المعلم الديني .

- تميز العمران في الجزائر خلال العهد العثماني بتنوع مبانيه الدينية و المدنية و العسكرية و كان للجانب الديني النصيب الاكبر بما تميز به من خصائص فنية و معمارية ، و تأثيرات محلية ووافدة ، و الاشكال المطروح من خلال هذه الدراسة ما مدى تأثير العمران العثماني على العمران في الجزائر، ما هي أهم العناصر المعمارية

لمسجد الباشا بمدينة وهران، و ما هي أهم الخصائص الفنية و الزخرفية التي ميزت هذا المبنى الديني خلال هذه الفترة.

و لمعالجة هذه الاشكالية اعتمدنا على المنهجين التاريخي و الوصفي من خلال التعريف بتاريخ و تطور المساجد خلال العهد العثماني في الجزائر، و وصف العناصر المعمارية للمسجد و الزخارف الفنية النى تميز بها.

-و لدراسة هذا الموضوع قمنا بتقسيم البحث الى مدخل و ثلاثة فصول و خاتمة، تناولنا في المدخل فيه الاطار التاريخي للتواجد العثماني بالجزائر ،و التعريف بمدينة وهران عاصمة بايلك الغرب الجزائري ،أما الفصل الاول تطرقنا فيه لتطور عمارة المساجد خلال العهد العثماني و التعريف بمسجد الباشا بمدينة وهران ،و خصص الفصل الثاني لدراسة العناصر المعمارية لمسجد الباشا و ملحقات المسجد ووسائل الدعم، أما الفصل الثالث فتناولنا فيه الخصائص الفنية و الزخرفية للمسجد،أما الخاتمة فكانت حوصلة لموضوع البحث.

و من أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة هي :

-سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني

- عمار عمورة ، الموجز في تاريخ الجزائر

- مهيرس مبروك، المساجد العتيقة بوهران ومعسكر.

مدخل تمهيدي

مدخل تمهيدي:

ظهرت الدولة العثمانية على حدود العالم الاسلامي مع أوروبا في نهاية العصور الوسطى كواحدة من امارات الحدود الحاجزة بين العالمين الإسلامي والمسيحي، ثم ازدهرت و توسعت في اسيا الصغرى و أصبح لها شأن كبير في ذلك الوقت ، فقد قلبت موازين القوى في العالم مع بزوغ فجر العصر الحديث ،و مع توسعاتها ضمت اليها أجزاء من أوروبا و أسيا و افريقيا وكانت الجزائر واحدة من الدول التي استنجدت بها لصد العدوان الاسباني على سواحلها و مع استجابة الدولة العثمانية لها دخلت الجزائر بذلك عهد جديد شهدت من خلاله تطورا و ازدهارا في كل المجالات و لا سيما في المجال العمراني و الفني.

لم يكن ليتواجد العثمانيين بالجزائر لولا غزو الإسبان لها و احتلالهم لبعض اجزائها بعد استغلال الضعف و الانحطاط الذي عرفته الجزائر في ازاخر عهد الدولة الزيانية ، فدخل أمرائها في صراع على العرش و لم تعد تملك هذه الدولة من النفوذ الا تلمسان و بعض الاجزاء من المناطق الغربية فعجزت عن مقاومة الغزاة و أجبرت على عقد صلح مع الاسبان سنة 1512م و اعترفت فيه باستلاء الاسبان على عدة موانئ في غرب الجزائر[1].

تحتل مدينة وهران موقعا استراتيجيا هاما بتوسطها عواصم بايلك الغرب (مازونة، معسكر و مستغانم) و اطلالتها على البحر الابيض المتوسط، تضاربت الآراء حول تأسيسها الذي كان أواخر القرن 3هـ /9 م [2]،و الغالب أنه كان ذلك على يد حاكم الاندلس الاموي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم أو حفيده ابي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم .

---

[1] –عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة، ذ1، 2002، ص 88.

[2]–محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق : محمد بن عبد الكريم ، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981، ص306–313.

مع مطلع القرن 16م سقطت مدينة و هران في يد الاحتلال الاسباني [1]و تزامن هذا تقريبا مع دخول العثمانيين الى الجزائر و الذين بذلوا جهودا متواصلة لتحرير المدينة [2] منذ النصف الثاني من القرن 16م و طوال القرن 17 م ،حتى تمكن حاكم بايلك الغرب الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي من ذلك عام 1708م [3]، و هو الفاتح الاول لمدينة وهران حيث حاول هذا الاخير اعادة الوجه الاسلامي للمدينة و نقل العاصمة من معسكر الى وهران و التي ما فتئت أن عاودت السقوط مرة ثانية في يد الاسبان عام 1732م لتستمر محاولات بايات الغرب استرجاعها مجددا ،و هو ما كان للباي الاكحل محمد بن عثمان الكبير سنة 1206هـ/1791 م الذي أعادها ثانية عاصمة لبايلك الغرب بديلا عن معسكر[4].

[1]– يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،2002 ص 23.

[2]– احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 111

[3] –محمد بن يوسف الزياني، جليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1398هـ/1978م، ص 188.

[4] –المرجع نفسه، ص 200.

الفصل الأول: عمارة مساجد الجزائر في العهد العثماني

1-مساجد الجزائر في العهد العثماني

2-تطور عمارة المساجد في العهد العثماني

3-مسجد الباشا بوهران

تمهيد:

شهد العمران في العهد الاسلامي تطورا واضحا خاصة في بناء المساجد باعتبارها بيوت الله، وكان المسجد في جميع العصور الإسلامية نواة لتخطيط المدن وهو قطب لتشكيل النسيج العمراني المميز للمجتمع المسلم.

تميزت الفترة العثمانية في الجزائر بفن معماري متعدد الالوان و قد عرف فن عمارة المساجد التأثيرات الأندلسية والتأثيرات التركية وتظهر هذه التأثيرات على المآذن و في شكل قاعات الصلاة و المحراب و المنابر و في التغطية.

1-مساجد الجزائر في العهد العثماني:

أولى الجزائريين اهتماما كبيرا وخاصا بالمؤسسات الدينية والاجتماعية التي هدفها غرس القيم والأخلاق في نفوس السكان ومن أهم هذه المؤسسات التي اهتموا بها المساجد، نظرا لدورها الكبير في حياة الأنسان وسياسية الدولة[1]، وظهر في القرن الخامس عشر الأسلوب العثماني في الهندسة حيث استمد أسلوبهم الى المساجد مباشرة وتميزت بقبة ضخمة فوق صحن واحد يشمل مساحة داخلية واسعة دون أعمدة فجميع المساجد التي تمتاز بهذه القباب ذات الصحن الوحيد التي نجدها في الجزائر قد تأثرت بالأسلوب العثماني وان كانت لم تبن في هذا العهد[2].

اهتم كثير من سلاطين آل عثمان بالعلوم والفنون وفتحوا قصورهم أمام الشعراء والعلماء فحولوها إلى أكاديميات علمية ضمت هذه المدارس كافة التخصصات في العلوم العقلية التطبيقية والنقلية يكمل بعضها البعض، وخصص للطلاب مكان الإقامة وأوقف عليها

---

1 –سعاد فويال، المساجد الأثرية بمدينة الجزائر، د ط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص8.

2 – عقاب محمد الطيب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية بالجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1990، ص 83.

الأوقاف لتوفير نفقات المدارس والطلاب والمعلمين كما ألحق بهذه المدارس مكتبة زودها بكلفة المصادر وجعل عليها موظف متمدرسا يسجل الزوار والكتب المعارة والمعادة[1].

تمثل مساجد الجزائر خلال العهد العثماني مرحلة هامة من مراحل التطور المعماري والفني للعمارة الدينية بصفة عامة والمسجدية وذلك لفترة زمنية امتدت من بداية القرن السادس عشر إلى بداية القرن التاسع عشر ميلادي وذلك بسبب تنوع في العناصر المتعلقة بالمساجد وعمارتها، ومن بين تلك العناصر التي تعتبر تحفة فنية بين عنصري الوظيفة والجمال واستعمل في صناعة هذه المنابر مادة الرخام والخشب[2].

مما سبق نستنتج أنه رغم أن الدولة العثمانية بعد دخولها للجزائر اهتمت كثيرا بالجانب العسكري وسعت لتطويره وركزت على مواجهة ومحاربة أعدائها، لكن بعد دراستنا لخصائص المساجد في الجزائر خلال العهد العثماني، لاحظنا أن الجزائر تأثرت كثيرا بالعمران العثماني لأن الأتراك كان لهم دور كبير في تطوير الجانب الحضاري لكل المنشآت الدينية مثل المساجد والأضرحة والزوايا.[3]

2- تطور عمارة المساجد في العهد العثماني:

لقد تعددت مظاهر التأثير العثماني في مجال العمارة والفنون والصناعات، ومنها العناصر المعمارية والزخرفية وأثاث الجوامع والصناعات الخزفية والأشغال المعدنية والخشبية وما إلى ذلك، وليس من السهل تتبع جميع مظاهر ذلك التأثير لكثافته وامتداده الزمني، ولذا فإننا سنكتفي بأبرز مظاهر ذلك التأثير.

1 – عبد اللطيف صباغ ، تاريخ الدولة العثمانية، د ط، د.ت، ص85.

2 – خيرة بن بلة، "منابر مساجد الجزائر في العهد العثماني"، مجلة الاتحاد العام الأثريين العرب، ع13، ص 146.

3 – محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص ص 58، 59.

من خلال فحص تخطيط المساجد الجزائرية في العصر العثماني ونظامها المعماري يتضح أنها بنيت وفق طرازين رئيسيين سارا جنبا إلى جنب طيلة هذه الفترة:

أ-الطراز المحلي : وهو الطراز التقليدي الذي يقوم فيه بيت الصلاة على الأعمدة والدعامات سواء كان يشتمل على صحن أو يخلو منه، ويغطى بسقف مسطح، ومعظم هذا النوع من المساجد متوسط أو صغير الحجم، منتظم التخطيط أو غير منتظم، وينتشر في معظم المدن الكبيرة والصغيرة، ولكنه بني غالبا في الاحياء السكنية أو على مشارفها، ولذا فإن هذه المساجد تعد مساجد غير رسمية تختص بالصلوات الخمس، ومن حيث مظهرها فهي قليلة الزخرفة أو تخلو منها نهائيا.

ب-الطراز الوافد: أنه طراز صاغته الجزائر وشكلته بطريقة خاصة بها ولكن بتأثير من المظاهر المعمارية العثمانية أبرز عناصره القبة، وبفحص مخططات هذه المساجد ومقارنتها بمخططات المساجد العثمانية في تركيا في أنماط تخطيطها المتعدد يمكن استشفاف طبيعتها وصلتها بها وبالتالي يمكن تحديد مظاهر التأثير العثماني فيها،وأهمها ثلاثة يمكن حصرها في التالي:[1]

- مساجد قاعة الصلاة فيها مربعة مغطاة بقبة مركزية قاعدتها مثمنة ورواق يحيطها من جميع جهاتها مقسم إلى فراغات مربعة غطي كل منها بقبيبة صغيرة.
- مساجد بيوت صلاتها مربعة تغطيها قبة مركزية تقوم على حنايا ركنية.
- مساجد قاعة الصلاة فيها نمط تخطيطها على هيئة صليب أحد أضلاحه أكثر امتداد من الأضلاع الأخرى، وغطي فيه الفراع المربع الكبير بقبة مركزية تحيطها قبيبات صغيرة، بينما غطيت أضلاع الصليب الصغرى بأقبية أسطوانية والضلع الكبير بمجموعة من الاقباء الأسطوانية المتتابعة.

1 - عبد اللطيف صباغ ، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص90.

لقد تعددت مظاهر التأثير العثماني في مجال العمارة والفنون والصناعات، ومنها العناصر المعمارية والزخرفية وأثاث الجوامع والصناعات الخزفية والأشعال المعدنية والخشبية وما إلى ذلك، إن أبرز العناصر المعمارية التي دخلت من تركيا على عمارة المساجد الجزائرية هي المئذنة وقد سارت المئذنة في طرازها وفقا للطرازين المحلي والوافد من تركيا.[1]

بشكلها المربع وطوابقها الثلاثة المسلوبة إلى الأعلى النموذج الأصيل له وتركيبها ومظهرها الخارجي في طابقين مربعين: السفلي برج مرتفع، يعلوه جوسق تغطيه قبيبة صغيرة، وينتهي البرج السفلي بحزام زخرفي تعلوه الشرافات، ويلتف بقاعدة الجوسق فراغا يسمح بحركة المؤذن في الجهات الجغرافية الأربعة، وفي الداخل يلتف الدرج الصاعد حول نواة مركزية مربعة مفرغة أو ملأ ينتهي عبر عدة دورات بذروة البرج الأول، ومن أمثلة هذه المآذن بعد مئذنة القيروان، مئذنة جامع صفاقس ومئذنة قلعة بني حماد، والمآذن الموحدية كمئذنة جامع الكتبية، والمآذن الزيانية كمئذنة جامع تلمسان وفي العهد العثماني استخدم هذا الطراز المحلي المربع إلى جانب الطراز الوافد ذي الشكل القلمي أو البدن المثمن، وحلى هذا الطراز المربع كثير من الجوامع والمساجد التي بنيت في هذه الفترة أشهرها وأكثرها رقة ورشاقة مئذنة جامع علي بتشين (1032هـ/1622م) وجامع سيدي عبد الرحمن(1108هـ/1696) والجامع الجديد (1070هـ /1660م) وجامع سفير(941هـ/1534م) ،... وغيرها أما الطراز الثاني النوافد من تركيا، فقد شمل معظم المساجد في مختلف مناطق الجزائر وخاصة مدنها الكبرى. ومظهره العام الخارجي، يتكون من طابقين: طابق سفاي مضلع ثماني ينتهي بذروة على شكل طنف أو أكثر يبرز عن جدارها يسمح باستدارة الفراغ العلوي الذي يلتف معه المؤذن في الدعوة للصلاة، غير أن بعض المآذن الأخرى ربما تكونت من برجين سفليين ذي شكل مثمن يتوجهما جوسق مثل مئذنة جامع الباشا في وهران، وربما قصد بذلك زيادة ارتفاع المئذنة .ومن أمثلته مئذنة

[1] بوعزيز يحي الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998. ص 66.

جامع القصبة الجواني(1234هـ/1818م) ومئذنة جامع سفير(941هـ /1535م) ومئذنة جامع القصبة البراني(1233هـ/1818م).وفي الغرب مئذنة جامع الباشا بوهران(1207هـ/1792م) ومئذنة جامع الباي محمد الكبير بمعسكر المعروف بمسجد العين البيضاء(1195هـ/ 1780م) فضلا عن مئذنة سيدي الأخضر ذات القلعة المربعة والبدن والجوسق المثمنين، وربما كان لبعض المآذن ذات المثمنة قاعدة مربعة .[1]

أما الجوسق فيتخذ نفس نمط البرج السفلي الثماني في شكله ولكنه بحجم أصغر وينتهي في أعلاه بغطاء على شكل قبيبة صغيرة أو على شكل جذع هرم منحدر رباعي يعلوه قضيب يحمل تفافيح نحاسية عددها اثنتان تنتهي بهلال في أغلب الحالات ويقوم غطاء الجوسق على طنف ضيق وبارز قليلا.[2]

وفي كل الأحوال فإن هذا النوع من المآذن لم يكن مألوفا في بلاد المغرب وإنما هو من التأثير العثماني الذي حل بالبلاد بعد التحاقها بالدولة العثمانية. علما أنه الطراز الأكثر ترددا في مصر وكثير من البلاد المشرقية، ولا يستبعد أن يكون التأثير المباشر قدم من مصر قبل قدومه من تركيا نفسها.

أما النوع الثاني من هذا الطراز العثماني الوافد، فيتكون من قاعدة وجوسق أسطوانيتين يفصل بينهما طنف بارز مستدير على شكل درابزين لحماية المؤذن، وهو أشد قربا للمآذن العثمانية في تركيا، وهو رشيق في مظهره مسلوب إلى الأعلى وينتهي الجوسق بغطاء أسطواني قلمي الشكل أشبه بالقمع يعلوه قضيب حديدي ينتهي بهلال، وأحسن أمثلة هذا النوع من المآذن مئذنة جامع صالح باي بعنابة (1206هـ/ 1791) ومئذنة جامع سيدي الكتاني(1190هـ/1776م) بقسنطينة.

أما من الداخل، فإن الصعود إلى الذروة أو ممشى المؤذن، يتم عبر درج خشبي أو مبني بالآجر يلتف حول نواة مركزية تنتصب كتلة واحدة. وقد فتح في بدن البرج السفلي

[1] بوعزيز يحي، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر وتوزيع، وهران،.1989، ص 71.

[2] عبد الغني إلياس، المساجد الأثرية في المدينة النبوية، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، 1999، ص 52.

والجوسق فتحات للإضاءة والتهوية، وتخفيف الضغط العلوي وتبدو من الخارج على شكل مستطيل ومن الداخل مزغلي .ويحلي بدن الأبراج والجوسق عناصر زخرفية هندسية معمارية في أغلب الأحيان تتكون من بوائك أو عقود تتوج دخلات مستطيلة غائرة في البدن، وذلك على شكل حطة واحدة أو على شكل الحطات مع تطعيمها بفسيفساء خزفية كمئذنة جامع الجيش بقصبة الجزائر ومئذنة الباشا في وهران أو بلاطات خزفية بمئذنة جامع سيدي عبد الرحمن المربعة بالجزائر.[1]

ويمكننا أن نذكر أن هذا النوع من المآذن الوافدة من تركيا ذات البدن المثمن أو الأسطواني لا يرقى في حجمه وفي شكله ومظهره، ولا في رشاقته وتوازنه وانسجامه للمآذن العثمانية في تركيا كمآذن جامع بايزيد الثاني في أدرنة ومآذن جامع، غير أن هناك نموذجا من طراز السلطان سليمان والشاه زادة في اسطنبول المآذن الوافدة من تركيا يتخذ مظهره هيئة أقرب إلى المآذن العثمانية الأصيلة في تركيا من حيث شكلها ومظهرها العام في رشاقته وتوازنه وانسجامه، وتعبر بحق عن المآذن الرشيقة وتمثلها مئذنة جامع صالح باي بعنابة، فهي تتكون من برجين مستديرين ينتهي السفلي بذروة على شكل طنف بارز ويعلوه جوسق مستدير الشكل أيضا ينتهي بغطاء أسطواني قلمي الشكل يرتفع فوقه قضيب ذي تفاحات نحاسية تنتهي بهلال، ويقدر قطر قاعدتها 1.80م وارتفاعها 15.31م

نستنتج أن المساجد، عرفت تطورات كبيرة خلال العهد العثماني، من كل الجوانب العلمية أو حتى العمرانية، وذلك راجع إلى الاهتمام الكبير للعثمانيين بالجانب الثقافي ويظهر ذلك من خلال اهتمامهم بالمساجد والزوايا وإعادة ترميمها، واحترام رجال العلم والأئمة ولكن هذا التطور لم يدم طويلا بسبب الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي دمر معظم المراكز الدينية وحول معظمها إلى كنائس وعلى غرار المنشآت الدينية عرفت المنشآت الحضارية

[1] عمورة عمار، الموجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة، ط.2001، ص 112.

والعسكرية تغيرات وتطورات كثيرة خلال مرحلة الحكم العثماني إلى غاية الاحتلال الفرنسي.[1]

3- مسجد الباشا بوهران:

يعتبر مسجد الباشا أحد أهم المساجد العتيقة بوهران تم تشييده من قبل الباي محمد الكبير مباشرة بعد تحرير وهران من الاحتلال الإسباني سنة 1792، بأمر من حاكم أيالة الجزائر، حسن باشا، وذلك شكرا لله على تمكينهم من طرد الأسبان بعد حوالي ثلاثة قرون من الاحتلال للمدينة، حسبما ذكره رئيس مصلحة الثقافة الإسلامية والتعليم القرآني بذات المديرية، مخفي بوخماشة، استنادا إلى مصادر تاريخية.

يقع على الضفة اليمنى لوادي الرحى قبالة قصر الباي، عند شارع بن عمر بوتخيل (شارع فيليب سابقا)، والذي يلتف حوله من ثلاث جهات: الشرقية والغربية والشمالية، أما من جهة الجنوب فيحده شارع "المسجد".

وقد بناه الباي محمد الكبير بأمر من الباشا حسن تخليدا لذكرى فتح وهران، حيث بعث له هذا الأخير مالا كثيرا لصرفه في أعمال البناء، كما يذكر المزاري أنه عثر على كنز ذهبي حين الشروع في حفر الأساسات، وقد أنفق في أعمال البناء أيضا، بينما تزعم المصادر الأجنبية أن مصادر تمويل بنائه جاءت عن طريق المال المحصّل من بيع الأسرى المسيحيين.

وقد ذكر ذلك الزياني؛ واحد من الكتاب المعاصرين للباي- حيث قال: "... وقد بنى (يقصد الباي محمد الكبير) الجامع المعزو للباشا حسن..."[2] ، كما أشار المزاري إلى ذلك قائلا: "... وبنى أيضا الجامع الأعظم المعروف بها بجامع الباشا للآن وهو حسن باشا...".[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص 113.

[2] أحمد باغي إسماعيل، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، 1996، ص 31.

[3] المرجع نفسه، ص 35.

وهناك أسطورة شعبية تقول ان في وهران الناس يتحدثون عن بناء المسجد على أسس عميقة وارتفاع المئذنة كرمز للإيمان بأن يرفع الروح العالية حتى يمكن أن تظل مرتفعة في الوحل.

وشرع في بنائه مباشرة بعد فتح وهران عام 1207هـ/1792م، وأشرف على أعمال البناء أمين البنّائين محمد الشرشالي بن تدبيرت، وتمّ الانتهاء منه سنة 1210هـ/1796م، وعلى الرغم من الترميمات والتعديلات التي تعرض لها المبنى منذ إنشائه؛ إلا أنه حافظ على طابعه الأصيل.

غداة الاحتلال مباشرة أقام به فيلق للجيش الفرنسي، ولم يسلم إلى الجزائريين إلا عام 1835م، حيث ظل يؤدي دوره خلال تلك الفترة، وقد رتب ضمن المساجد ذات منابر الخطب (الجمعة والعيدين) بحسب التصنيف الذي أصدرته سلطات الاحتلال سنة 1851م والخاص بأهمية المسجد والمدينة الواقع فيها، له إمام ومفتي يتقاضيان مرتبهما من إدارة الاحتلال، وكان من بين الذين درسوا بالجامع ومارسوا الفتوي بالمدينة حميدة بن القائد عمر المتوفى سنة 1870م ،ومن بعده الشيخ علي بن عبد الرحمن الذي يكون قد توفى سنة 1324هـ ،إضافة إلى الشيخ حريزي سي الحبيب البخاري المولود حوالي العام 1830م الذي أحيل على التقاعد سنة 1907م، كما درس بجامع الباشا في بداية القرن العشرين كل من الشيخ رحال منور والشيخ عبد الرحمن رستان، وبعد الاستقلال استمر في أداء رسالته التي بني من أجلها. [1]

والملاحظ انه تم تصنيف المئذنة كمعلم تاريخي في تاريخ 1906/12/29م ثم صنف الجامع للمرة الثانية في 1967/12/20م رغم انه تم تصنيف الجامع في يوم 1952/07/06م.

المؤسس: هو الباي محمد الكبير ثاني بايات ولد محمد الكبير بمليانة 1739 على الأرجح، كان والده عثمان الكردي خليفة بمليانة ثم صار بايا بتيطري، ولما قُتل والده في

[1] سعيدوني ناصر الدين: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 69.

حربه مع ثوار عمور تكفل بابنه محمد وباقي أفراد أسرته أبو إسحاق إبراهيم المليانى الذي تولى مكانه بالمدية. ثم زوجه ابنته وأشركه معه في أعمال الإدارة، ولما عين بايا لبايليك الغرب أخذه معه. [1]

ويعتبر تحرير وهران والمرسى الكبير من أهم منجزات الباي؛ فهذه المدينة كانت خاضعة للاحتلال الإسباني ما يقارب ثلاثة قرون، وبالرغم من أن الباي مصطفى المسراتي فتحها عام 1708م إلا أنها احتلت من جديد عام 1732م، ليعاد تحريرها من جديد ويدخلها الباي محمد الكبير بمعية جيشه يوم الاثنين 29فبراير 1792م، ويتخذها من حينه عاصمة لبايليكه.[2]

توفى الباي محمد بن عثمان الكبير في عام 1799م، عند عودته من الجزائر ويعتقد أنه مات مسموما، وحول الموضوع قال الزهار: "وقيل في موت الباي محمد أن حسن باشا بعث إليه من سقاه سما، وقيل إنه مات فجأة لأنه مات من غير مرض".[3]

وتم نقل جثمانه بعدها إلى وهران حيث دفن بمدرسة خنق النطاح بأمر من ابنه وخليفته على القطاع الشرقي للبايليك عثمان بن محمد.

أما من حيث المنجزات المعمارية فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الباي محمد الكبير أنشأ وأصلح الكثير من المباني الدينية والمدنية والعسكرية، ففي وهران بنى الجامع الأعظم المعروف بجامع الباشا وفي معسكر وسّع جامع السوق وأعاد بناء الجامع العتيق، وبنى جامع المبايعة والمدرسة التي كانت بجانبه، وبنى أيضا قناطر وسورا مشهورا وطبانتين للمدافع، وكان له الفضل الكبير في إنشاء المدينة الجديدة على الضفة اليمنى من وادي

[1] عقاب محمد الطيب: قصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص 50.

[2] عبد القادر نور الدين: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 73.

[3] عمورة عمار، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 115.

الرحي، والتي تشكلت من ثلاثة أحياء مهمة جديدة وهي حي جامع الباشا والحي اليهودي (درب اليهود) إضافة إلى حي رحِيّ الريح.[1]

[1] عقاب محمد الطيب: قصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني، مرجع سابق، ص 50.

الفصل الثاني: العناصر المعمارية لمسجد الباشا بوهران

1- العناصر المعمارية في المسجد

2- ملحقات المسجد

3- عناصر الدعم بالمسجد

تمهيد:

تعدّ المساجد أهم المباني الإسلامية، كما تُعد أقدم العمائر الإسلامية وأكثرها ارتباطاً بالإسلام، حيث في المساجد تقام الصلوات وكانت أماكن اجتماع المسلمين للتشاور واتخاذ القرارات، كان مسجد قباء هو أول مسجد في الإسلام، بعد ذلك مسجد الرسول (عليه الصلاة والسلام)، كانت المساجد في البداية بسيطة التصميم، بعد ذلك تطورت المساجد حسب حاجة المسلمون، ومن أهم العناصر المعمارية الأساسية في المساجد المذكورة أدناه.

1- العناصر المعمارية في المسجد:

1-1-المظهر الخارجي: يمتد الجامع من الشرق إلى الغرب، وتبرز منه للعيان واجهتين:

أ-الواجهة الغربية: وهي عبارة عن طابقين وبسبب الانحدار الذي يتخذه الموقع كلما اتجهنا إلى الغرب، يتشكل الطابق الأرضي من مجموعة من القاعات كانت عبارة عن حوانيت بناها الباي محمد الكبير وقفا للجامع، استغلت بعضها كميضأة هي الآن غير مستخدمة، إلى يمين الحوانيت توجد دار الباي حسن الملاصقة للجامع في ركنه الجنوبي الغربي بينما يبرز في الطابق الثاني النوافذ الخلفية لبيت الصلاة وعددها سبعة والمسيجة بشبابيك حديدية.

صورة رقم 1 منظر عام لجامع الباشا

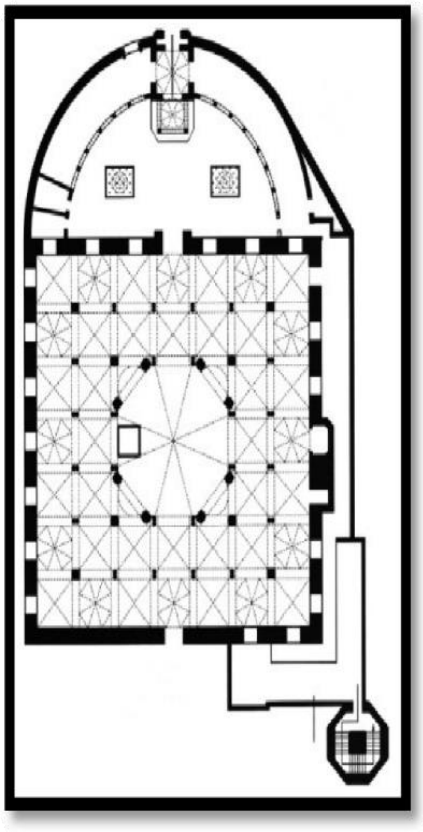

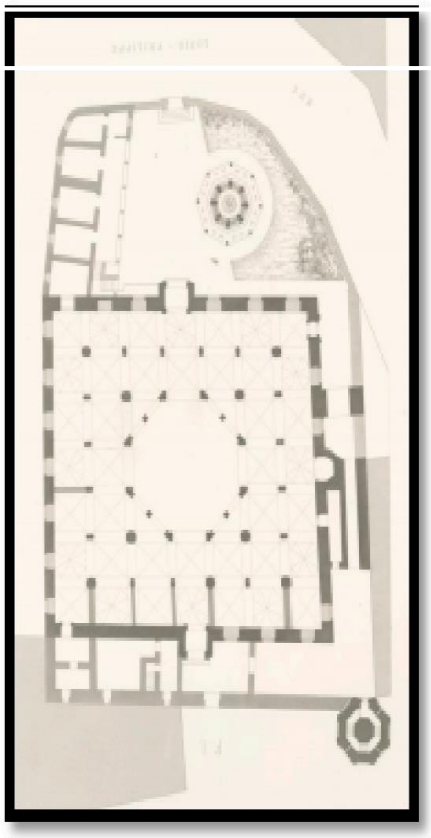

مخطط 1: جامع الباشا. مخطط 2: جامع الباشا عام 1842م

ب- الواجهة الشرقية: فهي عبارة عن سور نصف دائري طوله 55م، وينتهي بطنف بارز تنتظم عليه شرفات مسننة تتخللها قبيبات ثمانية الأضلاع ذات وظيفة زخرفية،.

اما باقي الوجهتين الشرقية والجنوبية فهي محجوبة ببناءات تعود كما يبدو في معظمها إلى فترة الاحتلال، وبعضها قد يعود إلى الفترة العثمانية إلا أنها غيرت بشكل جد كبير.[1]

1-2-المداخل: لهذا الجامع ثلاث مداخل المدخل الأول عبارة عن مدخل تذكاري أضيف خلال الاحتلال إلى جانب الحجرة التي تتقدمه، يبلغ عرضه 2.63م ويصل ارتفاعه إلى2.15م فواجهته الأمامية غنية بالزخارف المنتظمة حول عقد منكسر متجاوز محمول على عمودين مزدوجين.

صورة 2 : جامع الباشا

[1] عبد القادر حليمي، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر العثماني، مطبعة الثعالبة الجزائر، 1962، ص 80.

أما المدخل الثاني فهو من جهة اليسار وهو عبارة عن باب صغير كان مخصصا لدخول الباي ووزرائه، أبعاده 0.75م عرضا و1.55م ارتفاعا، كما يكتنفه على اليمين مدخل آخر كبير يصل عرضه إلى 2.5م بينما يصل ارتفاعه إلى 2.52م ذو عقد نصف دائري.

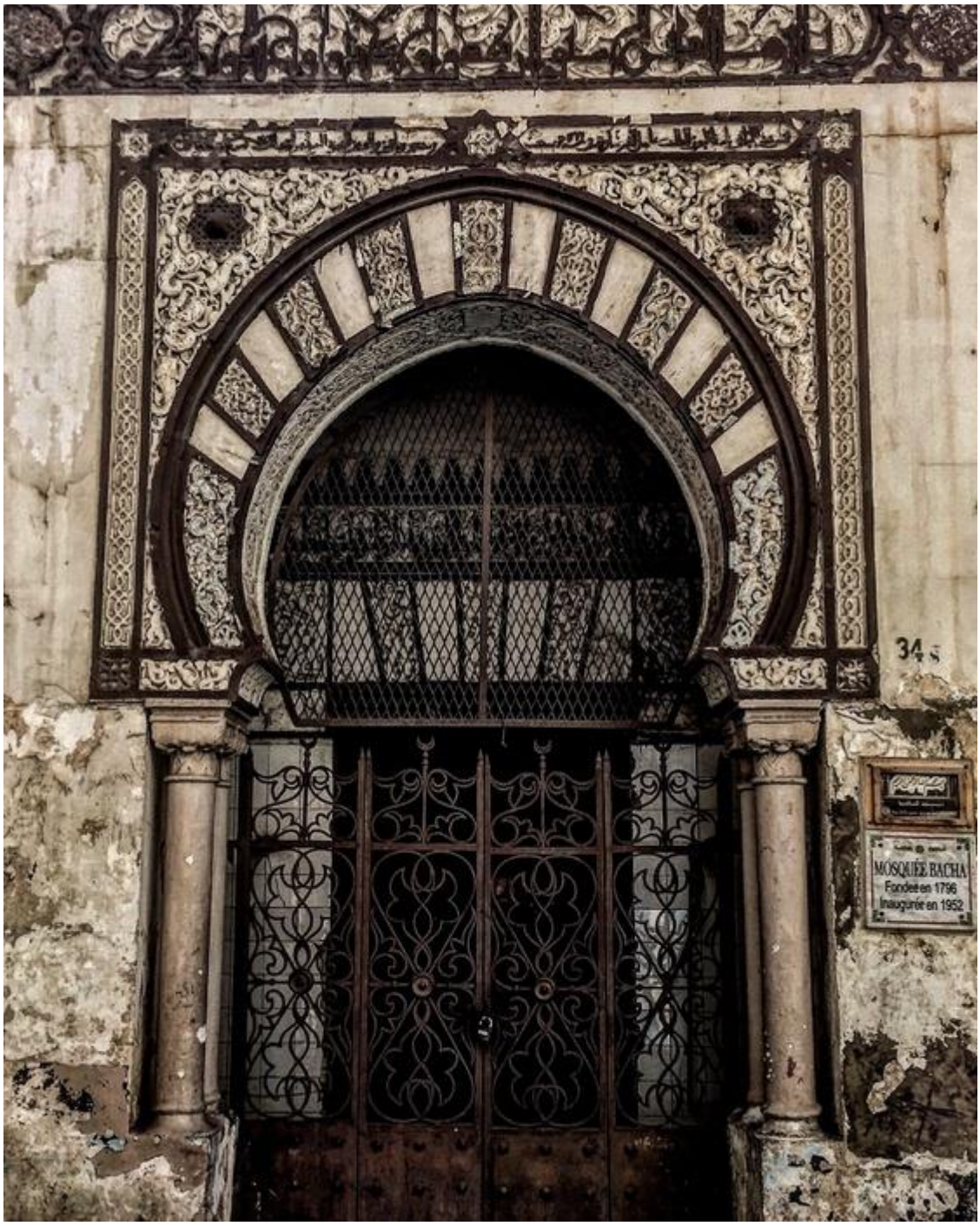

صورة 3: مدخل المسجد الثاني

1-3-حجرة المدخل: نلج عبر المدخل الرئيسي مباشرة إلى حجرة شبه مربعة تتوسط رواقي الصحن مساحتها 3.43م في 3.05م، لها باب غربي وآخر شرقي يفضيان إلى الرواقين عبر سلم نازل، أما من الناحية الجنوبية للحجرة فتوجد شبه شرفة تطل مباشرة على نافورة الصحن تكتنفها أربعة أعمدة رشيقة تحمل ثلاثة عقود ثلاثية الفصوص، تحمل تيجان تذكرنا إلى حد ما بتيجان قصر الحمراء بغرناطة[1]، إلا أن شكل المراوح وطريقة نقشها يبدو مختلفا كثيرا.

وللحجرة قبة جميلة ذات أضلاع ثمانية، يكتنف كل ضلع عرقان، تتقاطع جميعها عند قمة (مركز) القبة مشكلة من نجمة ثمانية الرؤوس، وفضلا عن ذلك يتضمن بطن القبة زخارف جصية متنوعة، وهي تقوم على منطقة انتقال تتكون من مثلثات ركنية ذات حزوز أفقية متوازية وتستند على بوائك معقودة بأربعة عقود.

1-4-الصحن والأروقة: هو تلك الساحة غير المسقوفة التي تتوسط بعض المباني، و يكثر استخدام هذا النوع من العناصر المعمارية في العديد من الأبنية في عدد كبير من المساجد فهذا العنصر يُضفي جمالاً لا نظير له على الجامع، كما يوفّر أيضاً مساحات مناسبة للاستراحة، والاسترخاء، حيث يتم تزيين الصحون في هذه المدن وغيرها ببركة ماء جميلة، إضافة إلى عدد كبير من أنواع المزروعات، والورود، والأزهار يحتوي الجامع في جهته الشمالية على صحن مكشوف أضيف خلال فترة الاحتلال يأخذ شكل نصف قرص، قطر دائرته 5.22م، وتقدر مساحته ب397.4م^2، يوجد على جانبيه الشمالي-الشرقي والجنوبي- الغربي رواقان اثنان يشكلان- إضافة إلى المدخل - نصف دائرة عمقهما 3.67م وارتفاعهما 3.40م.

كما أن الصحن تتوسطه نافورة يعلوها جوسق متصل من أحد جوانبه بقاعدة قبة حجرة المدخل محمول على عقود مشرشفة من جهاته الثلاثة، وتعلوه قبيبة ثمانية الأضلاع تقوم

[1] الحاج سعيد محمد، مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها دورها وعمارتها، تخصص الحضارة الإسلامية، جامعة الجزائر، 2015-2016، ص 68.

على منطقة انتقال تتكون من مثلثات ركنية ذات حزوز أيضا، يعلوها سفود بارز يحمل ثلاث كرات من البرونز وهلال.

ويتميز صحن الجامع بشكل نصف دائري وهو شكل يعتبر جديد على المساجد في تلك الفترة، وقد كانت الصحون من قبل مستطيلة الشكل أو مربعة أو- أحيانا- شبه منحرفة، فشكل الصحن هذا- والذي بنيت عناصره على الطراز الإسلامي - أعطى للجامع ككل هيئة جميلة وإن كانت غير مألوفة.

ومن جهة أخرى فقد يكون لهذا الشكل دلالات رمزية أراد من خلالها المستعمر إبراز فكرة أو تصور معين.[1]

1-5-بيت الصلاة: عبارة عن مدخل متقدم بنحو 50سم عن الحائط عرضه 2.15م وارتفاعه 2.5م، يواجه قبة المدخل الرئيسي، مزود بدعامتين مزخرفتين، يتوجهما عقد نصف دائري ذو شراشف، يعلوه شريط كتابي.

ويقابل هذا المدخل الرئيسي مدخل آخر في الجدار الجنوبي من بيت الصلاة عرضه 1.55م وارتفاعه 2.50م وعمقه 0.67م، كان مخصصا عقب الاستقلال لدخول النساء، ورغم أنه خضع للعديد من التغييرات أفقدته على ما يبدو شكله الأول.[2]

أما بيت الصلاة فيتخذ شكلا مربعا تقريبا، طول ضلعه الشرقي 28.05م والغربي 28.57م والشمالي 27.70م والجنوبي 27.60م، وتقدر مساحته ب781.35م^2، وهو يتكون من سبع بلاطات عمودية على جدار القبلة وسبعا موازية له، تقوم في وسط بيت الصلاة القبة المركزية ثمانية الأضلاع، طول أضلاعها يتراوح في الداخل ما بين 44.3م و82.3م،

[1] طيان شريفة، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، قسم الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2007-2008، ص 98.

[2] محمد سيد أشرف صالح، المراكز الثقافية في دار السلطان الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة أمراباك، العدد7، ص 47.

ويصل قطرها إلى 60.12م، تحملها ثمان دعامات وثمانية أعمدة مزدوجة وثمانية عقود منكسرة متجاوزة، تشكل في مجموعها مضلعا ثمانيا.

يحيط بالقبة المركزية اثنتا عشر قبة أصغر حجما، حيث يتراوح طول أضلاعها من الخارج ما بين 1.60م و1.70م، تقوم كلها على منطقة انتقال تتشكل من مثلثات ركنية ملساء، وجميعها خالية من الزخارف باستثناء القبة التي تتقدم المحراب والمزينة ببلاطات خزفية متنوعة فتح بها هي الأخرى أربع نوافذ.

وإلى جانب القباب استخدم في تغطية أروقة بيت الصلاة الأقبية المتقاطعة، وقد بدت جميلة في منظرها ومنسجمة في إنشائها.

ونجد أسفل القبة المركزية لجامع الباشا الدكّة، وهي ترتفع عن أرضية بيت الصلاة ب3.05م، ذات شكل مربع إذ يبلغ طول ضلعها 03م، وهي محمولة على أربعة أعمدة رخامية مركبة ترتكز عليها العوارض الخشبية الحاملة للدّكّة المحفوفة بدرابزين خشبية مزخرفة يصعد إليها بواسطة سلم خشبي يتكون من عشر درجات.

وللعلم فقد ظهرت الدكة لدواعي وظيفية في الأساس؛ فعليها كان يقوم المبلغ (المؤذن) بإقامة الصلاة، وبترديد تكبيرات الإمام وتسليمه وعبارة القيام من الركوع وغيرهُا مما يقتدى بالإمام فيه، والمقرئ بترتيل القرآن الكريم، كما أوكل لهؤلاء الذين يجلسون على الدكة وظيفة المديح النبوي الشُريف، وقد اختلف موضعها ما بين مسجد وآخر، فأحيانا نجدها في مقدمة بيت الصلاة وأحيانا في مؤخرته وأحيانا في وسطه، إلا أنها تقع جميعها على محور المحراب ، وكانت غالبا ما تصنع الدكك من الخشب لها درابزين خشبية، وتقام على أعمدة رخامية، ويصعد إليها من خلال سلم خشبي.

1-6-المحراب: و ذلك النتوء الذي يتوسط الجدار، ويكثر استعماله في المساجد؛ ذلك لأنّه يشير إلى اتجاه القبلة، وهو مكان صلاة الإمام أثناء صلاة الجماعة، وله العديد من الفوائد من الناحية العملية، خاصة على صعيد راحة الإمام أثناء أداء الصلاة، وراحة المصلين، وزيادة أعداد المصلين داخل المسجد؛ فبدلاً من أن يشغل الإمام صفاً كاملاً

وحده، يمكن الاستفادة منه في ضم عدد لا بأس به من المصلين، وحسب سعة الصف الإجمالية.

ويتكون من حنية محراب الجامع من غائرة على شكل خماسي شبه منتظم يقدر عمقه 2.10م بينما يقدر عرضه ب 2.5م، يعلو حنيته قبيبة قائمة على قاعدة ثمانية الأضلاع عاطلة عن الزخرفة، يفصل بينهما طنف قليل البروز ذي خطوط مستقيمة، يكتنف الحنية عمودان رخاميان غير مندمجين تماما يحملان عقدا منكسرا متجاوزا أكثر انغلاقا.[1]

[1] وزارة الثقافة، منازل فحص مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، 2015، ص 24.

والمؤكد أن الزخرفة الأصلية للمحراب طمست تماما واستبدلت بمربعات خزفية حديثة، ولم يبق منها إلا الشمسيات الثلاثة المخرمة التي تعلو إطاره والمصنوعة – كما يبدو– من مادة الجص.

1–7–المنبر: مازال جامع الباشا يتوفر على منبر– يبدو أنه غير أصلي– طوله 40.2م، يصل ارتفاع مقدمته إلى 30.2م في حين يصل ارتفاع مؤخرته إلى 70.2م بينما يبلغ عرضه 62.0م، يتشكل من ستة درجات عمقها 28سم وارتفاعها 18سم تنتهي باستراحة شبه مربعة أبعادها 58*67 سم، ويكتنف سلمه درابزين ترتفع بنحو 28 سم شبيهة بدرابزين الدكّة، وللتذكير فإن هذا المنبر يقوم على أربع عجلات يُدحرج من خلالها إلى بيت الصلاة كل يوم الجمعة وخلال أيام الأعياد.

1–8–المئذنة: لقد اختلفت أسماء المئذنة وان اتفقت دلالتها فهي أما مئذنة أو منارة أو صومعة أما المواد التي استعملت في بناء المئذنة فهي الطوب أو الفخار والحديد، ونلاحظ في هذا المسجد أثر العثمانيين على صنع المئذنة المتاخمة والمغطاة بالقرميد، وتقوم في الركن الجنوبي الشرقي للجامع وشكلها مسقط أفقي مثمن الشكل طول ضلع قاعدتها 1.40م ويبلغ ارتفاعها نحو35م.

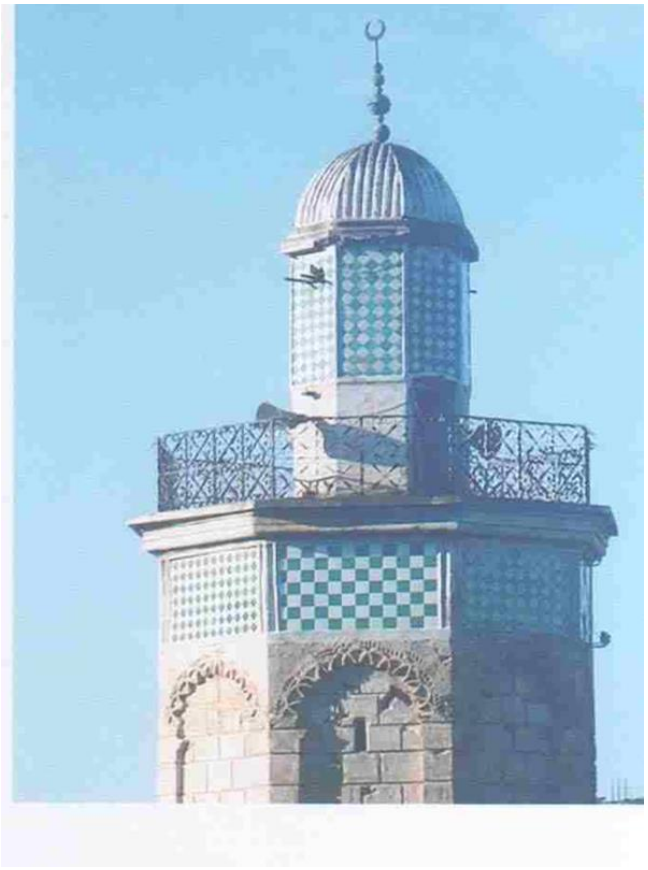

صورة 4: مئذنة الجامع

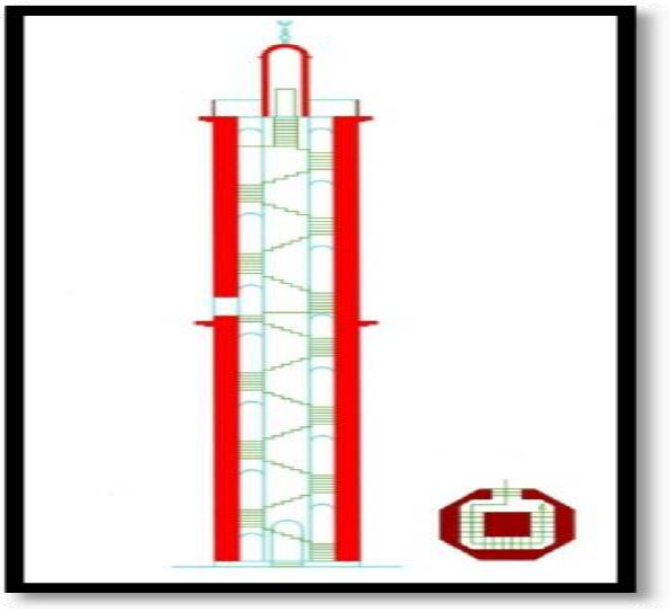

مخطط 3: مقطع طولي وعرضي لمئذنة جامع الباشا.

غُطي الدرج بأقبية نصف أسطوانية تتحول في الأركان إلى أقبية متقاطعة على غرار معظم المآذن الإسلامية[1]، ويوجد أعلى كل بسطة فتحة صغيرة للإضاءة والتهوية، ونصل عبر هذا الدرج الصاعد إلى سطح البرج الرئيسي من باب اتساعه 62.0م وارتفاعه 71.1م، هذا السطح محاط حاليا بسياج معدني حديث، يتوسطه جوسق ذو مسقط مثمن طول ضلعه 08.0م وارتفاعه 03.6م، ازدانت أوجهه الثمانية في نصفها العلوي بشريط من المربعات الخزفية.

غُطي الجوسق بقبيبة مضلعة تميزت من الخارج بأخاديدها، الأمر الذي لم نلاحظه على باقي قباب الجامع، ثبت في أعلاها سفود ذي ثلاث تفافيح من البرونز ينتهي هلال، وظهور الأخاديد على القباب ليس بالشيء الجديد، حيث عهدناه في مآذن أخرى، ونذكر هنا أن الممشى الذي يلتف حول الجوسق اتساعه 1.5م.

وتعتبر المئذنة أهم عناصر المسجد، وقد أعطت للمسجد طابعا جد مميز، بل كان "لها معنى ومغزى أوسع من مجرد رمز للحضور، ونادرة جدا في الحالات التي يخلو فيها مسجد من مئذنة"[2]، وكانت تضاء بالمصابيح في شهر رمضان عند كل غروب، ثم تطفأ مع طلوع الفجر إيذانا ببدء يوم جديد من أيام الصيام.

وعموما فان المآذن في الجزائر خلال الفترة العثمانية تعددت أشكالها؛ فنجد المئذنة المربعة والمئذنة المضلعة والمئذنة المركبة.

ومن جهة أخرى فقد كانت تزود رؤوس جواسق (انظر الملحق رقم 03) بعض المآذن بعمود (سارية) تُرفع عليه راية خلال مواقيت الأذان نهارا، وفي الليل تُستبدل تلك الرايات بمصباح مضيء إعلانا بدخول وقت الصلاة لمن لا يتسنى له سماع الآذان، حيث يقول

[1] محمد سيد أشرف صالح، المراكز الثقافية في دار السلطان الجزائر أواخر العهد العثماني، مرجع سابق، ص 50.

[2] بن حموش مصطفى، مساجد مدينة الجزائر، دار الأمة، 2010، ص 93.

الرحالة الألماني: "...ففي أذان الظهر يعلق فوق المنارة علم أبيض وبعد منصف النهار (العصر) يعلق علم أخضر"[1]، وفي ذات السياق يقول الرحالة الألماني هاينريش فان مالتسان الذي أقام بالجزائر لمدة خلال منتصف القرن الثامن عشر: "ولا توجد في المدينة (الجزائر) سوى أربعة مساجد حقيقية تقام بها صلاة الجمعة بصورة منتظمة، ويرفع فوق منارتها العلم الأبيض خمس مرات يوميا إيذانا بحلول مواعيد الصلاة"[2].

غير أن الأمر اللافت هو الاتجاه الذي أخذه سلم مئذنة الجامع، وهو الاتجاه المعاكس لعقارب الساعة، وهذا النظام المعماري عرفته جميع مآذن الجزائر خلال الفترة العثمانية كما عرفته أيضا مآذن بلاد المغرب والمشرق خلال نفس الفترة والفترات السابقة، بل وعرفته أقدم المآذن القائمة على الإطلاق، وعلى رأسها مئذنة جامع القيروان التي تكون قد بنيت مطلع القرن الثاني الهجري بالإضافة إلى مئذنتي رباط المونستير وسوسة.

ويبدو أن المسلمين أدركوا هذا الأمر الهام منذ صدر الإسلام؛ فبنوا سلالم مآذنهم دون استثناء وفق ذلك الاتجاه.[3]

2- ملحقات الجامع:

ضم جامع الباشا العديد من الملاحق، ومن بينها حجرة ضيقة تقع يمين المحراب مباشرة كانت مخصصة لوضع المنبر، تأخذ شكل اللام الوسطية المقلوبة، ووجود هذه الحجرة ومساحتها وموقعها هو تقليد كان معمول به في بلاد المغرب الإسلامي، واستمر العمل به حتى خلال الفترة العثمانية، والمرجح أنه ظهر أول ما ظهر بتونس خلال الفترة الأغلبية حيث ما زلنا نراه في جامع الزيتونة وصفاقس والمنستير وغيرها، ولئن كان المنبر غير

[1] فانوف نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية، بيروت دار الفارابي، ط.2، 1999، ص 125.
[2] أحمد باغي إسماعيل، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، 1996، ص 88.
[3] أحمد باغي السيد، سلسلة فن وثقافة، وزارة الإعلام الجزائري النشرة الثانية، 1982، ص 180.

ثابت في مكانه ببلاد المغرب فلا يخرج من حجرته إلا يوم الجمعة بواسطة عجلات؛ فإن الحال يختلف فيمصر والشام والعراق بحيث نراه مستقرا إلى جانب المحراب.[1]

وفي الركن الجنوبي الشرقي من الجامع بين بيت الصلاة والمئذنة نجد ميضأة، وهي تتكون من طابقين؛ طابق أرضي مخصص لسبغ الوضوء وطابق علوي – نصله عبر سلم من عدة درجات – يتوفر على العديد من المرشات للاغتسال والكنيفات، وللذكر فهذه الميضأة حديثة والظاهر أنها استحدثت عقب الاستقلال.

اما في الرواق الشمالي– الغربي لصحن الجامع في نهايته هناك حجرة تبدو حديثة، ذات مساحة صغيرة تضم بداخلها بئرا غير مستعمل حاليا يصل عمقه إلى نحو خمسة أمتار، ولا يعرف متى تم بنائه إلا أنه حفر لتزويد الجامع بالماء.

كذلك توجد غرفة تقع عند نهاية الرواق الجنوبي الشرقي، وهي عبارة عن غرفة ضيقة غير منتظمة الأبعاد وهي ليست حديثة البناء ووظيفتها كمخزن لوضع أثاث الجامع، وقد بنيت بالموازاة مع رواقي الصحن.

كما نلاحظ وجود غرفة أخرى بالقرب من بيت الصلاة، وتقع في جنوب الغرفة السابقة ترتفع بنحو 2.50م عن أرضية الجامع، نرتقي إليها عبر سلم من 17 درجة ذات شكل أقرب إلى المربع، وهي غرفة حديثة غير معلومة لماذا بنيت.[2]

3– عناصر الدعم:

استخدمت الأعمدة في العمارة الإسلامية لغرض إنشائي ولكنهم أضافوا لها الغرض الجمالي بالطريقة المميزة لهم وظهرت التيجان للأعمدة عند العثمانين وأخذ أشكال (أسطوانية – مضلعة بشكل حلزونى – مثمنة – مربع) وأهم شكل هو العمود المقرنص وكان يضاف لهم الزخارف مما جعل الأعمدة مميزة وفريدة.

[1] المرجع نفسه ص 182.

[2] أحمد باغي السيد، سلسلة فن وثقافة، مرجع سابق، ص 183.

أما عدد الدعامات التي ترتكز عليها عقود بيت الصلاة فوصلت إلى 16 دعامة ذات مسقط ثماني من حجمين مختلفين ذات ارتفاع يقدر ب1.90م، كما استعملت أعمدة كثيرة وصل عددها إلى 54 عمودا من بينها 24 عمودا مزدوجا، وهذه الأعمدة من نوعين:

- النوع الأول: هي أعمدة ضخمة ملساء طولها1.90م وقطرها 0.35م، تتكون احجار مغروسة في الأرض، وهو عبارة عن تيجان شبيهة بتيجان الدعامات، منها ثمانية استعملت إلى جانب الدعامات لحمل القبة المركزية.
- النوع الثاني: هي عبارة عن أعمدة مركبة تتكون من جزأين رئيسيين سفلي ثماني الأضلاع وعلوي حلزوني، ارتفاعها 2.54م، تحمل تيجان كورنثية علوها 29سم، قسمه الأسفل مشكل من صف من أوراق الأكانتس[1]، ومن جهة أخرى نجد المساحة الواقعة بين الحلزونيات الجانبية مؤثثة بعنصر نباتي يعلوه هلال يتصل جزء منه بالوسادة، عدد هذه الأعمدة ستة؛ اثنان منها يكتنفان المحراب من الجانبين بينما تحمل أربعة الدكّة.

أما العقود المستعملة فأهمها العقد المنكسر المتجاوز، حيث استخدم داخل بيت صلاة جامع الباشا، وشكلت منه البلاطات وعقد المحراب وعقد المدخل الرئيسي، كما شكلت منه أروقة الصحن.

ويتوسط جدار القبلة المحراب الذي يكتنفه عدة أبواب؛ فهناك باب على يمينه اتساعه 1.91م وعلوه 3م ننفذ منه إلى غرفة جدّ صغيرة يوضع بداخلها المنبر، وعلى يساره يوجد باب آخر قريب من الركن الشمالي الشرقي اتساعه 1.33م وعلوه 2.51م، له عقد مدبب.

بقي أن نشير إلى وجود باب صغير مصمت في أقصى الحائط الجنوبي قريبا من الركن الجنوبي الغربي اتساعه 1م وارتفاعه 1.72م، تؤطره دعامة مزخرفة بسمك 0.23م معقودة بعقد نصف دائري، أما النوافذ فتفتح في جميع حيطان بيت الصلاة وعددها 19 نافذة.

[1] إحسان الهنيدي محمود، الحوليات الجزائرية تاريخ المؤسسات الجزائرية في من العهد العثماني إلى عهد ثورة الاستقلال، دمشق،1977، ص 87.

والجدير بالذكر أن مخطط جامع الباشا ينتمي إلى الطراز الوافد الذي جلبه العثمانيون معهم إلى الجزائر، ومع هذا الطراز الجديد- الذي يمثله بيت صلاة جامع الباشا ذو القبة المركزية.[1]

ويوجد بالواجهة الغربية للمسجد صف من الأعمدة المزدوجة ، بعضها غير ظاهر للعيان بسبب الترميمات والتغييرات التي مست المبنى، طولها الحالي 1.31م ومحيطها 0.38 م وقطرها 0.26م، كما يوجد داخل الميضأة صف آخر من الأعمدة المزدوجة؛ الجزء الظاهر منها مكسو بطبقة من الإسمنت، لهذه الأعمدة – كما يبدو – نفس شكل وحجم أعمدة بيت الصلاة، غير أنه تعلوها تيجان تأخذ شكل متوازي الأضلاع تحمل في أركانها لفيفة على شكل قرص يربط بينها أربعة خطوط متوازية غائرة قليلا.

وعموما فقد تعددت أشكال الأعمدة في مساجد الفترة العثمانية فكان منها الأسطواني والحلزوني والمظفر والمضلع والمثمن والمضلع – الحلزوني، إلا أن العمود ذو الساق الأسطواني كان هو الشائع ونكاد نجده في كل المساجد[2]. كما تنوعت مادة تشكيل هذه الأعمدة فمنها الرخامية ومنها الحجرية ومنها ما بنيت بالآجر، أما عن أبعادها فقد تباينت هي الأخرى حتى في داخل المعلم الواحد.

والجدير بالذكر أن المسلمين الأوائل اتخذوا من جذوع النخل أعمدة لمساجدهم[3]، كما يتضح من خلال النصوص التاريخية؛ في المسجد النبوي وجامع عمرو بن العاص وأيضا في جامع سيدي عقبة[4].

---

[1] علي خلاصي، قصبة الجزائر، القلعة وقصر الداي، أطروحة دكتوراه الحلقة الثالثة معهد العلوم الاجتماعية . جامعة الجزائر . فرع التاريخ والآثار 1984، ض 36.

[2] بوريبة رشيد، وهران فن وثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1983م، ص 90.

[3] عقاب محمد الطيب، لمحات من العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ط 1،مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002م، ص 84.

[4] فويال سعاد، المساجد الاثرية لمدينة الجزائر، ط 1،دار المعرفة ، الجزائر 2010م، ص 55.

وفي فترة لاحقة استعمل المسلمون أعمدة كانت تنقل من المعابد والكنائس والعمائر القديمة[1]، ولم يكن يهم البنائين كثيرا عدم التجانس في الشكل والطول بقدر ما يوفره العمود من تجسيد لسقوف مرفوعة بطرق مختلفة كما هو الشأن في مدن كدمشق وحلب والقدس وتونس وقرطبة.

وعلى غرار الأعمدة فقد تنوعت التيجان خلال الفترة العثمانية بالجزائر عموما، ومنهاتاج شبيه بالتاج الكورنثي وهو الأكثر شيوعا، ويبدو أنه منبثق "بشكل محسوس من التاج العربي"، نجده كما ذكرنا سابقا داخل بيت صلاة جامع الباشا، قسمه الأسفل مشكل منصف من أوراق الأكانتس ومن جهة أخرى نجد المساحة الواقعة بين الحلزونيات الجانبية مؤثثة بعنصر نباتي يعلوه هلال يتصل جزء منه بالوسادة.

ونذكر في هذا الصدد أن هذا النمط من التيجان المصنوع غالبا من المرمر أو الحجر الجيري الأصفر يتوج معظم الأعمدة في مساجد مدينة الجزائر.

وهناك نوع ثان من التيجان يتشكل من جزأين، جزء سفلي أسطواني يشغله صف من المراوح النخيلية المحورة تأخذ شكلا شبيها بالإبهام، أما الجزء الأعلى فهو عبارة عن شكل متوازي المستطيلات وهو الجزء الذي يتلقى معظم الزخارف المكونة من عناصر نباتية متنوعة عادة، وقد وجدناه يتوج أعمدة مدخل وصحن جامع الباشا.

وتكوين هذه التيجان[2] لا يختلف عن التيجان الزيانية ولا حتى المرينية بتلمسان، خاصة تلك الموجودة بمسجد سيدي بومدين وضريحه والى حد ما جامع المنصورة[3].

[1] بوريبة رشيد، وهران فن وثقافة، مرجع سابق، ص97.

[2] كردون عائشة، المساجد التاريخية لمدينة الجزائر، ط 1، وزارة الثقافة، منشورات الفا الجزائر، 2001، ص-235 237.

[3] مهيرس مبروك، المساجد العتيقة بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 107.

ويبدو أن التأثير الزياني لم يقتصر على مدينة وهران فحسب بل تعداها إلى مدن كالجزائر وقسنطينة وعنابة حيث نجد تيجانا من هذا النوع بجامع القصبة وسيدي عبد الرحمن وسيدي لخضر وصالح باي[1].

ولعل أقدم التيجان الإسلامية المعروفة هي التي وجدت بجامع الكوفة بعد إعادة بناءه من طرف حاكم العراق زياد بن أبيه في خلافة معاوية، يليها تيجان قبة الصخرة ببيت المقدس وجامع دمشق التي حاكت التيجان الرومانية الكورنثية والمركبة.

ومنذ القرن 4هـ/10م صارت للأعمدة في العمارة الإسلامية تيجانها الخاصة التي تميزها عن التيجان الإغريقية والرومانية والبيزنطية، وتميزت بزخارفها النباتية والهندسية ودخل الخط العربي عليها ليجعل لها خصوصية إسلامية بحتة.

حافظ جامع الباشا وبالخصوص بيت الصلاة على جانب كبير من أصالته، ولم يطله التغيير إلا في أجزاء محددة، ومن أبرز التغييرات التي طرأت على المدخل وخصوصا المدخل الواقع على يمين مدخله الرئيسي، والذي يكون قد أضيف في السبعينيات من القرن الماضي حسب ما أكده قيم الجامع، وداخل الصحن تمّ حفر بئر في أقصى الرواق الأيمن ثم سور بجدارين، وفتح باب في الجدار المقابل للصحن.

كما نلاحظ تغييرا عبارة عن ميضأة حديثة خلف بيت الصلاة وهي ملتصقة تماما بالمئذنة، يتكون القسم الأيمن منها من طابقين اثنين، وعلى العموم فهذه الميضأة بنيت بطريقة جد بسيطة بحيث لا تتناسب والشكل المعماري للجامع ككل.

داخل بيت الصلاة لم يمس التغيير تقريبا إلا حنية المحراب وواجهته الخارجية واللتان لبستا ببلاطات حديثة، إلا أن أهم تغيير حدث هو في الصحن وما يتصل به من المدخل الرئيسي الحالي والنافورة وغيرهما، وما ترتب عن ذلك من إزالة لبعض ملحقات الجامع

[1] بوتشيشة علي، العمارة الدينية والمدنية لمدينة وهران خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في العلوم في الأثار الإسلامية، معهد الأثار، جامعة الجزائر2016-2015 ، ص 255.

الأصلية كالرواق الجانبي والميضأة اللذين كانا يتقدمان بيت الصلاة، وهي تغييرات حدثت في بداية الاحتلال.[1]

[1] بوتشيشة علي، العمارة الدينية والمدنية لمدينة وهران خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 261.

الفصل الثالث: الخصائص الفنية والزخرفية للمسجد

1- العناصر الزخرفية النباتية

2- العناصر الزخرفية الهندسية

3- العناصر الزخرفية الكتابية

تمهيد:

تنوعت الأنماط الفنية للزخرفة العثمانيه تنوعا كبيرا مابين الأنماط الكتابية بأشكالها المختلفة، وبين الأنماط النباتية المشابهة للطبيعة وادمجها مع العناصر الزخرفية الأخرى من رسوم الطيور والأسماك والقواقع والرسوم الآدمية والحيوانية، كما برع العثمانيون في استخدام الأنماط الهندسية و العناصر المعمارية سواء الدينية أو المدنية و أشكال البوائك والعقود المتصلة وأخيرا ظهور كلا من أسلوب الركوكو والباروك الأوربي وتأثيرهما على الفن العثماني ومزج الأتراك لعناصرها الأوربية الجديدة مع الأسلوب التركي التقليدي وإنتاج أنماط زخرفيه فنيه تركية أوربية مهجنه من الركوكو والباروك التركي

1-العناصر الزخرفية النباتية:

يتشابه الفن الإسلامي مع الفن الغربي حيث إنه يهتم بالشكل التجريدي وليس الواقعي، ويظهر ذلك في المنسوجات والأقمشة التي تتزين بالفن بالزخرفي الزهري في الفن الإسلامي، ويظهر ذلك على شكل دمج الأشجار والنباتات بشكل متداخل كخطوط الأشكال الهندسة المعمارية، ويعتبر نقاد الفن أن الفنون الزخرفية النباتية تقليدية الشكل وتفتقر في وصفها أشكال الحياة، وتتميز الزخارف النباتية في الفن الإسلامي بتداخل فن الأرابيسك [1].

وقد نالت الزخارف النباتية في المباني المنسوبة للباي محمد الكبير بوهران حيّزا هامّا واحتلت مواضع متعددة كالحوائط والقباب وواجهات المآذن والعقود والتيجان، ونفذت على الجص والرخام والحجر والمربعات الخزفية. [2]

وتتميز الزخارف النباتية بالتنوع في عناصرها ومن أهمها:

أ-السيقان:

استخدمت السيقان في عدة مواضع بجامع الباشا، فجاءت رفيعة نوعا ما ومعقدة في إطار مدخل بيت الصلاة ترسم شكلا ملتويا يمتد إلى ما لا نهاية وعلى نحو معاكس؛ وفي صورة شبيهة بالدوائر المتقاطعة كما في مكتبة جامع القيروان. أما في ركني العقد وان رسمت على نفس الهيئة، فان حجمها جاء مغايرا وأقل تعقيدا تبعا للمساحة المتاحة لدى الفنان.

وجميع هذه السيقان محفورة في الجص حفرا بارزا تمتد في المساحة بطريقة ملتوية، حيث أن كل ساق يتفرع عنه عدة سيقان تلتف حول نفسها، باستثناء ساق واحد الذي يخرج عن نطاق حيز الساق الأول ليمتد هو الآخر بشكل ملتوي لينبثق منه عدة سيقان

[1] زكي حسن، في الفنون الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص27.

[2] لأخضر بن عبد الله، المئذنة بين الماضي والحاضر قراءة في الضرر والضرارة، أبحاث ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، 1419هـ/1999م، ص 112.

وهكذا دواليك مشكلة في نهايتها مراوح، تشبه إلى حد ما الزخرفة الموجودة في جامع القيروان.

ب– المراوح النخيلية:

تعدّ المراوح النخيلية من أهم العناصر النباتية في مبنى جامع الباشا، وقد رسمت وفق أشكال مختلفة ومتعددة، فمنها المراوح البسيطة التي تكونت من فص واحد ممدد ينتهي في الغالب بانحناء خفيف يشبه الإبهام وأحيانا ينحني بشدّة ليشكل في النهاية ما يشبه الهلال. وإلى جانب المراوح البسيطة، استخدم الفنان المراوح المزدوجة المكونة من فصين غير متساويين أحيانا ومتدابرين، قد يتراجعان نحو الداخل أو الخارج، تارة بصورة متناظرة وتارة بصورة معاكسة ومشكلة على غرار المراوح البسيطة ما يشبه الإبهام عند الانحناء الخفيف، وما يشبه الهلال عند الانحناء الشديد.

–ت ورقة الأكانتس:

تعدّ ورقة الأكانتس من العناصر النباتية التي عرفتها العمارة بالجزائر خلال العهد العثماني، وقد كان الإقبال عليها كبيرا[1]. احتلت الصدارة في العصر الأموي سواء في الفسيفساء أو النحت على الجص والحجر[2]، وكانت معروفة في الطراز الإغريقي والروماني والبيزنطي.

استخدمها الحماديون، حيث وجدت منحوتة على بعض التيجان التي عثر عليها بالقلعة وبجاية.

وشهدت خلال الفترة المرابطية إقبالا كبيرا سواء في تلمسان أو فاس أو مراكش، وقد رسمت بشكلها الطبيعي ثم اختفت في أواخر العهد الموحدي والعهد المريني[3].

[1] عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، ص ص 170 –179

[2] شافعي فريد ، العمارة العربية، مرجع سابق، ص221.

[3] لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، اطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1999، ص878.

وينبغي أن نسجل هنا أن هذا العنصر كان حاضرا بشكل ملفت في الزخرفة النباتية الأندلسية منذ عصر الخلافة حيث نجده في جامع قرطبة ومدينة الزهراء بأشكال متنوعة وفي وضعيات مختلفة.

وقد استخدمت في تزيين بعض التيجان ولاسيما التيجان الشبيهة بالتيجان الكورنثية حيث بدت قليلة التحوير، متقنة الصنع، تكونت من عدة فصوص مسننة، جاءت طريقة حفرها ضحلة، وبالأخص تلك المستخدمة في تيجان قاعة الديوان بالقصر، كما زين بها تاج عمودي مدخل بيت الصلاة بجامع الباشا في شكل نطاق يلف بدن التاج، تكونت من 9 فصوص مسننة هي الأخرى، تنطلق في حركة علوية ثم تتراجع بشكل دائري.

2 – العناصر الزخرفية الهندسية:

تعد العناصر الهندسية من أهم العناصر الزخرفية التي لجأ إليها الفنان المسلم واستخدمها في عمائر الجزائر خلال الفترة العثمانية بما في ذلك المعالم التي نحن بصدد دراستها، هذا النوع من الزخرفة تفنن فيه المسلمون كثيرا وأبانوا عن براعة وحذاقة وموهبة كبيرة قل نظيرها.

مع العلم أنه قبل الإسلام لم يكن لها دور بارز إذ كانت تستخدم غالبا كإطارات لغيرها من الزخارف و".. من ناحية العناصر الزخرفية فإنه لم ينتقل من الطرز السابقة إلى الطراز الإسلامي العربي من العناصر الهندسية ذات المميزات الخاصة سوى عدد قليل مثل الصليب المعقوف الإغريقي وزخارف الجدائل.."[1].

وتتكون الزخارف الهندسية – في الغالب – من الخطوط بأنواعها المستقيمة والمنكسرة والمغلقة والمنحنية والمضفرة والحلزونية البسيطة منها والمعقدة. ومن الأشكال المساحية كالمثلث والمربع والمستطيل والدائرة والمعين والمضلعات الخماسية والسداسية والثمانية إضافة إلى الأطباق النجمية والأهلة.

[1] عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 181.

ورغم وفرة العناصر الهندسية إلا أنها لم تشكل في الغالب – موضوعا زخرفيا مستقلا بذاته، إنما كانت تشارك عناصر زخرفية أخرى ولاسيما النباتية منها، سواء في تقسيم مواضيعها الزخرفية أو في تحديد وحداتها الفنية تحديدا واضحا[6] وقد تؤدي أحيانا دورا هامشيا لا شأن له يذكر.

أ– الخطوط:

تعدّ الخطوط أصل أي تشكيل هندسي، شاع استخدامها في العمارة المصرية القديمة والعمائر التي أعقبتها ومنها انتقلت إلى العمارة الإسلامية حيث أدت دورا بارزا في الزخارف الهندسية[1].

خلال الفترة العثمانية استعملت مختلف الخطوط في العمائر الدينية[2] والمدنية على حد سواء، حيث نفذت على أطر الأبواب والنوافذ وعلى الأعمدة، كما زينت بها بعض السقوف الخشبية[3].

ومن هذه الخطوط التي استخدمها الفنان في عمائر الباي محمد الكبير بوهران الخط المستقيم والمنكسر والمنحني، جاءت أحيانا مجردة وأحيانا أخرى مشتركة مع عناصر أخرى، كما استعملت لتشكيل موضوع زخرفي قائما بذاته أو لتحديد مواضيع زخرفية معينة أو لملء الفراغ.

ويعتبر الخط المستقيم من أكثر الخطوط وضوحا، يتسم بالقوة والاستقامة والإتزان[3] حددت به القطاعات الزخرفية للمآذن وشكلت منه الأفاريز والنطاقات المتعددة، كما استخدم على الأطر الرخامية للنوافذ في قصر الباي بشكل غائر أو بارز، وأجمل استخدام

[1] عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر، مرجع سابق، ص 185.

[2] بورويبة رشيد، وصف الجامع الكبير بقسنطينة، تر: حنفي بن عيسى، مجلة الأصالة، ع،5 م ،1الجزائر، نوفمبر، 1971م، ص 150.

[3] الأخضر بن عبد الله، المئذنة بين الماضي والحاضر قراءة في الضرر والضرارة، أبحاث ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط ، جامعة الملك سعود، 1419هـ/1999م، ص 79.

للخطوط المستقيمة تلك التي تزين بعض قباب جامع الباشا ولاسيما قبة المدخل، حيث تنطلق من رقبتها لتمتد في شكل أشعة متقاطعة عند القمة

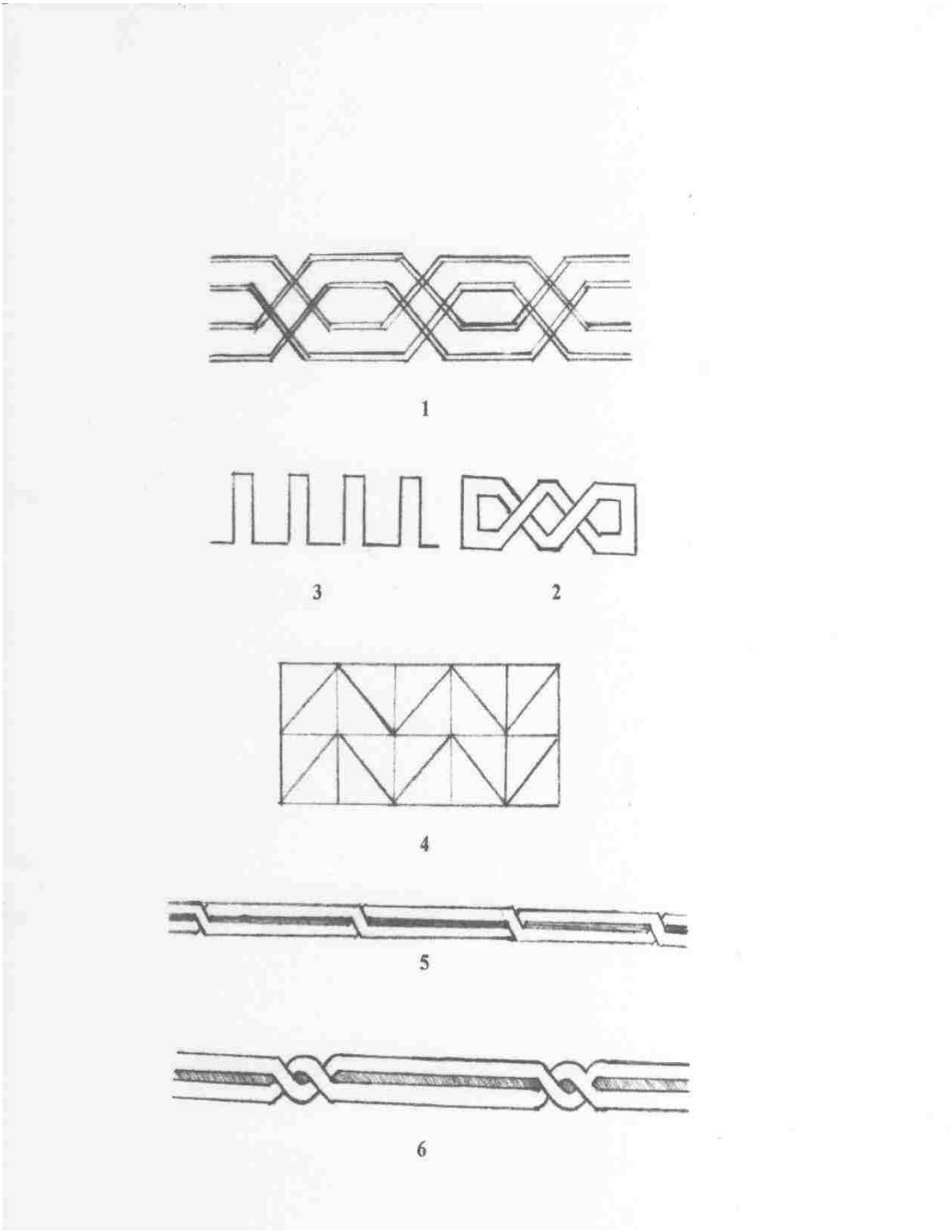

شكل رقم 1: نماذج الخطوط

أ– الأشكال المساحية:

نجد من بين الأشكال المساحية الأكثر استعمالا المربعات، بعضها رسم على البلاطات الخزفية والبعض الآخر نفذ بالآجر والجص، ففي القسم الأعلى من جوسق مئذنة مسجد الباي، نشاهد مربعا مركزيا يحيط به مربعا آخر أكبر منه تتخللهما عناصر زخرفية مختلفة وجميعها مرسومة على تجميعات من أربع بلاطات.

وهناك تجميعات أخرى مؤلفة من أربع قطع توجد نماذج منها في قصر الباي ومئذنة جامع محمد بن عثمان الكبير عبارة عن شبه مربعات محاطة بتفاصيل من عدة عناصر نباتية.

وتتضمن شمسيات القبة المركزية بجامع الباشا العديد من المربعات المنفذة على الجص إلى جانب أشكال مساحية أخرى، وذات العنصر نجده مشكلا بالجص على أحد حيطان جوسق النافورة أيضا، على جانبي الشريط الكتابي عند مدخل بيت الصلاة.

والى جانب المربع نجد المستطيل الذي شكل في الغالب عنصرا ثانويا يشترك مع عناصر أساسية أخرى، حيث كونت منه الأطر المحددة للكتابات والقطاعات الزخرفية للمآذن الثلاثة وشبكة المعينات بجامع الباشا. [1]

ب– الأشكال النجمية:

رغم أهمية الأشكال النجمية فإن استخدامها بدا محدودا، ولقد رسمت خاصة على قطع البلاطات الخزفية المتواجدة في قصر الباي، ففي مثال أول نشاهد نجمة ثمانية تشكل العنصر الرئيسي، استعمل في تلوينها اللون الأزرق والأصفر والأخضر، ويحتل

[1] بن بلة خيرة، منابر مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 18.

الأركان الأربعة عنصر نباتي شديد التحوير، وفي مثال ثان تنفرد نجمة ثمانية بتشكيل الموضوع الزخرفي مرسومة باللون الأصفر والبرتقالي على خلفية بيضاء وفي بلاطات أخرى يتألف تصميمها من عنصر نباتي عبارة عن ورقة الأكانتس محورة تتوسطها نجمة ثمانية رسمت باللون الأبيض والأزرق.

ومن الأشكال النجمية المعقدة تلك المحفورة على الجص بقبة حجرة المدخل الرئيسي والقبة المركزية لجامع الباشا، إلا أن النموذج الأول بدا أكثر تعقيدا، فالنجمة ثمانية الرؤوس ضمّت نجمة أخرى من نفس الشكل، هذه الأخيرة بدورها تتوسطها نجمة أخرى وتلاقي النجمتين يشكل وردة رباعية الفصوص

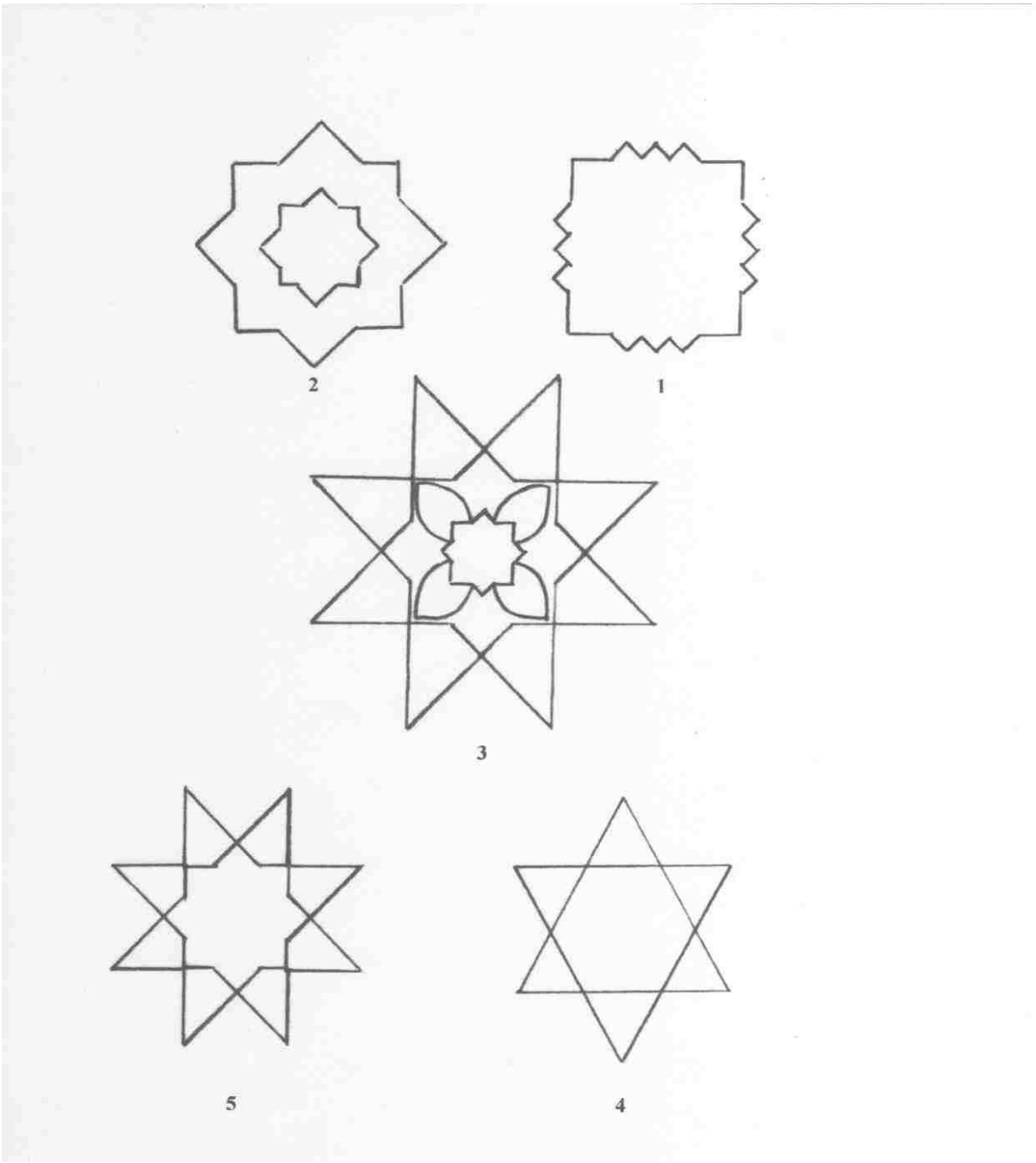

الشكل 2: يوضح اشكال النجوم

ت-الهلال:

احتوت الكثير من العمائر في الجزائر أثناء العهد العثماني على عنصر الهلال، وقد لوحظ في ثلاثة مواضع زخرفية؛ على مفاتيح أطر الأبواب الرخامية وعلى جبهات التيجان الرخامية، وأعلى مآذن المساجد وبعض قبابها ولاسيما المركزية منها.

وقد وجد الهلال في المنشآت المعمارية للباي منحوتا على جبهات التيجان الكورنثية وعلى الشمسيات التي تعلو محراب جامع الباشا، كما وجد مثبتا أعلى قبيبات جواسق المآذن دون استثناء وفوق بعض قباب جامع الباشا.

واستعمل الهلال أيضا في زخرفة بلاطات خزفية في رواقي جامع الباشا، وقد رسم باللون الأزرق على مهاد أبيض.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا العنصر الزخرفي استخدم – غالبا – منفردا، مما أضفى عليه سمة البروز والوضوح وهو الأمر الذي يعزز الاعتقاد بأن له دورا رمزيا.

3- العناصر الزخرفية الكتابية:

لم تحظ الزخارف الكتابية خلال العهد العثماني بالجزائر بتلك الأهمية التي حظيت بها خلال العهود الإسلامية التي سبقت، حيث أدت دورا مميزا وبلغت درجة كبيرة من الجودة والكمال[1]، وقد خصّها الفنان المسلم بكثير من الرعاية والاهتمام.

ويعود إبداع المسلمين في الزخارف الكتابية وتفننهم فيها إضافة إلى الزخارف النباتية والهندسية إلى عزوفهم عن تصوير الزخارف الآدمية والحيوانية لما في ذلك من مضاهاة خلق الله تعالى.

[1] لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، مرجع سابق، ص883.

وتعد الزخارف الكتابية من أبين مميزات الفنون الإسلامية عامة، وذلك لأنها من إبداعات المسلمين الخالصة ولم تقم على أساس ما عرفته الفنون القديمة، كما كان الشأن بالنسبة للزخارف النباتية والهندسية[1].

وقد استخدمت الكتابات لخدمة غرضين أساسيين، أولهما تأريخ المعلم أو التحفة واثبات أسماء ووظائف وألقاب أصحابها أو منشأها والتبرك ببعض الآيات القرآنية والعبارات الدينية، وثانيها تزييني، حيث أضحت هذه الكتابات عنصرا زخرفيا قائما بذاته[2] فلم يكد يخلو معلم من المعالم أو تحفة من التحف من هذا العنصر الزخرفي الهام.
جامع الباشا الذي ضمّ مجموعة مهمة منها. ويوجد منها كتابات أربعة تضمنت آيات قرآنية، هذا بالإضافة إلى كتابات قصيرة والمتضمنة لصيغ دينية.

وقد استخدم في تنفيذها الخط الكوفي جنبا إلى جنب مع الخط النسخ. وللعلم فالخط الكوفي تطور خصوصا في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة من خلال استقامة حروفه وتحسن صورته، واستخدم في مجالات عدة كالكتابات التذكارية والكتابة على المصاحف[3]. وقد سمي هذا الخط بالكوفي نسبة إلى مدينة الكوفة التي بناها سعد بن أبي وقاس ما بين عامي 17 و18هـ في خلافة عمر رضي الله عنه، وكان من عادة العرب تسمية الخطوط بأسماء المدن والمناطق القادم منها وذلك منذ العصر الجاهلي.
وتفرع عن الخط الكوفي التذكاري عدة أنواع منها الكوفي البسيط والكوفي المورق والكوفي المزهر ذي الأرضية النباتية والكوفي المضفر والكوفي الهندسي.

انتقل من المشرق موطنه الأم إلى القيروان وتونس ومنهما إلى المغرب الأوسط حيث انتشر خلال العهد الحمادي في المباني الدينية والمدنية[4] وقد ظلّ مهيمنا في الكتابات

---

[1] قبان شريفة، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، قسم الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،.2008، ص 200.

[2] مرجع نفسه، ص 200

[3] معزوز عبد الحق، الكتابات الكوفية في الجزائر بين القرنين الثاني والثامن الهجريين (8 –14م)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م، ص7.

[4] لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، مرجع سابق، ص887.

التذكارية والنقوش الزخرفية لمدة تزيد عن الخمسة قرون قبل أن يأخذ الخط النسخي في مزاحمته تلك المكانة[1]، فخلال الفترة الأولى من الحكم الزياني احتل مكان الريادة على غرار الفترة المرابطية حيث شكلت منه العديد من الأفاريز. أما في الفترات اللاحقة فاستعمل خط النسخ وانحصر في المقابل دور الخط الكوفي بشكل ملحوظ فلم يبرز منه أحيانا إلا كلمة أو كلمتين وبحجم صغير.

أثناء العهد المريني تراجع دوره إلى المركز الثاني من حيث الاستخدام، بالرغم من احتلاله لمكانة مهمة في المباني الدينية والمدنية

- الكتابة الأولى:

هي عبارة عن أربعة أشرطة من الجص مستطيلة الشكل تمتد أفقيا، توجد أعلى جدران مقصورة المدخل، بحيث يحتل كل شريط إحدى الجهات الأربعة.

يقع الشريط الأول فوق الحافة المستطيلة عند الواجهة الأمامية للمدخل، ونقرأ فيه قوله تعالى:

" يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم"[2]

وفي نفس المستوى نشاهد الأشرطة الكتابية الثلاثة المتبقية التي تتوزع على الجهات الأربعة ونقرأ فيها ما يأتي:

- الجهة الشرقية:

" وافعلوا الخير لعلكم تفلحون"[3] و" وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا".[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص889 .

[2] سورة الحج، الجزء الأول من الآية 77.

[3] سورة الحج، الجزء الثاني من الآية 77.

[4] سورة الجن، الآية 18.

- الجهة الجنوبية:

" حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين"[1].

- الجهة الغربية:

" وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير"[2].

نفذت هذه الكتابة بخط كوفي مورق على أرضية مغطاة بسيقان تنطلق منها مراوح بأسلوب الحفر البارز، وقد جاءت خالية من نقط الإعجام وحركات الإعراب.

تميزت حروفها بالتناسق والتوازن، إضافة إلى قوة التعبير والجمال الزخرفي وبحسن التوزيع ورشاقة الرسم، حيث جرت على قاعدة واحدة ونسق واحد رغم الأشكال الزخرفية التي تخللت الصواعد.

[1] سورة الحج، الآية 78.

[2] سورة البقرة، الآية 238.

الخاتمة

الخاتمة:

نكون قد تعرفنا من خلال هذه الدراسة في مجال التاريخ على فترة مهمة من تاريخ وهران

أما فيما يتعلق بالعمائر الدينية، فإننا تعرفنا على نمطين مختلفين في تخطيط المساجد انتشرا خلال الفترة العثمانية في الجزائر،

وأما النمط الثاني فهو الذي تشكل فيه القبة العنصر الأساسي وقد تجسد في جامع الباشا، ومع هذا النمط اختفت البلاطة الوسطى التي تعتبر من أبرز سمات المساجد الإسلامية، والنمط هذا هو الذي حمله العثمانيون معهم إلى المغرب الإسلامي، وما دمنا بصدد الحديث عن جامع الباشا فلابد أن نذكر الظاهرة الجديدة في عنصر الصحن، الذي أخذ شكلا نصف دائري، شكل لم تعرفه صحون مساجد المغرب الإسلامي على الأقل. وعليه فإننا نعدّ الأمر ابتكارا جديدا قد يعبر عن قوة شخصية الباي محمد الكبير التي تمّيّز بها.

وفيما يخص المآذن فقد استخدم طرازان، المئذنة ذات المسقط المربع الموروثة عن التراث المغربي الأندلسي، والمئذنة ذات المسقط المضلع التي ظهرت في الجزائر خلال الفترة العثمانية، وتشكلت جميع المآذن الثلاثة المدروسة من طابقين، ويصعد إلى قممها عبر درج صاعد يلتف حول دعامة مركزية مصمتة.

وأما فيما يخص العناصر المعمارية، فقد استخدمت في العمائر الدينية إلى جانب التيجانالتي عرفتها الجزائر إبان العهد العثماني ولاسيما المحلية والكورنثية؛ تيجان ذات أصول مغربية أندلسية، إلى جانب نوع جديد من التيجان لم يسبق وأن شاهدنا ما يشبهه في عمائر المغرب وربما المشرق أيضا وهو الذي توّج دعامات وأعمدة بيت صلاة جامع الباشا. كما استخدمت كثيرا العقود الزخرفية التي شهدتها الفترات السابقة، ويبدو التطور في ظهور شكل جديد من العقود لم يعرف من قبل وان كان شبيها بالعقود المفصصة، وهو الذي رأيناه على واجهات مئذنة مسجد الباي.

وفي مجال الزخرفة، ظهر التأثير الزياني جليا، خصوصا في بعض الزخارف الكتابية في جامع الباشا، كما يلاحظ استخدام الخط الكوفي بشكل جميل جدا، في وقت اعتقد بعض الباحثين خطأ أن هذا الخط لم يعد يستخدم مطلقا خلال الفترة العثمانية.

والأكيد أن الباي محمد الكبير لم يسجل اسمه في صفحات التاريخ فقط من خلال فتحوهران، إنما سجل اسمه أيضا في ميدان العمارة من حيث منشآته المعمارية التي لا تزال قائمة والتي تضمّنت تلك العناصر المبتكرة.

وما نؤكد عليه هو ضرورة الاهتمام بهذه المباني وترميمها والتي مازالت تعاني التهميش وعدم المبالاة، ومنها قصر الباي الذي نال القسط الأكبر من التخريب والتشويه، فالكثير من سقوف غرفه انهارت وما بقي منها مهدد بالانهيار في أي وقت، وأيضا المساجد وخصوصا مسجد الباي الذي تكاد تلتصق به البنايات من جوانبه الثلاثة، أما المآذن فقد أصيبت بالكثير من التصدعات والتشققات وأصبحت وكرا للطيور.

وفي الأخير ما أحسب هذه الدراسة سوى مساهمة متواضعة من جانبي، قدّرت أن تضيف جديدا إلى حقل الأبحاث في بلادنا المهتمة بالعمارة الإسلامية عموما، مع اعترافي أنها لا تستجيب لكل تطلعات الباحثين المشتغلين في هذا الميدان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر:

-القران الكريم.

2- الكتب:

-إحسان الهنيدي محمود، الحوليات الجزائرية تاريخ المؤسسات الجزائرية في من العهد العثماني إلى عهد ثورة الاستقلال، دمشق،1977.

-أحمد باغي إسماعيل، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، 1996.

-أحمد باغي السيد ،سلسلة فن وثقافة، وزارة الإعلام الجزائري النشرة الثانية، 1982.

-أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.

-بن حموش مصطفى ،مساجد مدينة الجزائر، دار الأمة، 2010.

-بوروبية رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ترجمة إبراهيم شبوخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،.1985.

-بوروبية رشيد، وصف الجامع الكبير بقسنطينة، تر: حنفي بن عيسى، مجلة الأصالة، ع،5 م، الجزائر، نوفمبر، 1971م.

-بوعزيز يحي الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، .1998.

-بوعزيز يحي، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر وتوزيع، وهران،.1989.

-زكي حسن، في الفنون الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، 1981

-سعاد فويال، المساجد الأثرية بمدينة الجزائر، د ط، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر

-سعيدوني ناصر الدين: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني المؤسسة الوطنية للكتاب.

-عبد الغني إلياس، الأثرية في المدينة النبوية، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، 1999.

-عبد الغني إلياس، المساجد الأثرية في المدينة النبوية، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة، 1999.

-عبد القادر حليمي، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر العثماني، مطبعة الثعالبة الجزائر، 1962.

-عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

-عبد اللطيف صباغ، تاريخ الدولة العثمانية، د ط، د.ت.

-عقاب محمد الطيب: قصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، الجزائر، 2000.

-عقاب محمد الطيب، لمحات من العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ط 1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002م.

-عمورة عمار، الموجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة، ط.2001 .

-فانوف نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية، بيووت دار الفرابي، ط.2، 1999.

-كردون عائشة، المساجد التاريخية لمدينة الجزائر، ط ،1وزارة الثقافة، منشورات الفا الجزائر،2001.

-لأخضر بن عبد الله، المئذنة بين الماضي والحاضر قراءة في الضرر والضرارة، أبحاث ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، 1419هـ/1999م

-لعرج عبد العزيز، المباني المرينية، اطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1999.

-محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

-محمد بن يوسف الزياني، جليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1398هـ/1978م.

-معزوز عبد الحق، الكتابات الكوفية في الجزائر بين القرنين الثاني والثامن الهجريين (8 -14م)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م.

-مهيرس مبروك، المساجد العتيقة بوهران ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

3- الرسائل الجامعية

-الحاج سعيد محمد، مساجد القصبة في العهد العثماني تاريخها دورها وعمارتها، تخصص الحضارة الإسلامية، جامعة الجزائر، 2015-2016.

-بوتشيشة علي، العمارة الدينية والمدنية لمدينة وهران خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في العلوم في الأثار الإسلامية، معهد الأثار، جامعة الجزائر2016-2015 .

-علي خلاصي، قصبة الجزائر، القلعة وقصر الداي، أطروحة دكتوراه الحلقة الثالثة معهد العلوم الإجتماعية . جامعة الجزائر . فرع التاريخ والآثار 1984.

-قبان شريفة، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، قسم الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2007-2008.

4- المجلات

-بن بلة خيرة، منابر مساجد مدينة الجزائر في العهد العثماني، مجلة الاتحاد العام للأثرين العرب، ع ،13القاهرة.

-لأخضر بن عبد الله، المئذنة بين الماضي والحاضر قراءة في الضرر والضرارة، أبحاث ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط ، جامعة الملك سعود، 1419هـ/1999م.

-محمد سيد أشرف صالح، المراكز الثقافية في دار السلطان الجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة أمراباك، العدد7.

الفهرس

الفهرس:

مقدمة

مقدمة:..... أ

مدخل تمهيدي:..... أ

الفصل الأول: مساجد الجزائر في العهد العثماني

1-مساجد الجزائر في العهد العثماني: 4

2- تطور عمارة المساجد في العهد العثماني:..... 5

3- مسجد الباشا بوهران: 10

الفصل الثاني: العناصر المعمارية في المسجد

تمهيد: 15

1- العناصر المعمارية في المسجد: 16

2- ملحقات الجامع: 27

3- عناصر الدعم:.....28

الفصل الثالث: الخصائص الفنية والزخرفية للمسجد

تمهيد: 35

1-العناصر الزخرفية النباتية: 36

2 – العناصر الزخرفية الهندسية:.....38

3- العناصر الزخرفية الكتابية: 44

الخاتمة: 49

قائمة المصادر والمراجع: 52

الفهرس: 57